الصداقة
في شعر القرن الثاني الهجري
الرؤية والأداة

د. عصام لطفي وهبان
مدرس الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة دمنهور

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الأول)
(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

الصداقـة في شعر القرن الثاني الهجري الرؤية والأداة

عصام لطفي وهبان
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة دمنهور، جمهورية مصر العربية.
البريد الالكتروني: asam.whban.98765@gmail.com

ملخص البحث: يعنى هذا البحث بدراسة ظاهرة من الظواهر الشعرية التى ازدهرت فى شعر القرن الثاني الهجرى ازدهاراً ملحوظاً نتيجة لمؤثرات اجتماعية وثقافية ونعنى بذلك شعر الصداقة الذى يتناول هذه العلاقة الإنسانية السامية ويقف على ما تمثله من أهمية فى حياة الفرد الذى يوصف بأنه مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس وبصفة خاصة الأصدقاء الذين يشاركونه فى الأفراح والأتراح، ويغمرون حياته بالأنس والبهجة، وقد توصل الباحث لعدة نتائج منها: أن شعر الصداقة ازدهر فى القرن الثاني الهجرى ازدهارًا كبيرًا نتيجة لعدة عوامل ، منها المؤثرات الاجتماعية حيث تعرض المجتمع العربي آنذاك لتغيرات اجتماعية كبري شهدت ظهور طبقات اجتماعية جديدة أبرزها طبقة (الموالى أو المولدين) التى لعبت دورًا اجتماعيًا مهمًا ، كما ازداد اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى مما أدى إلى اتساع العلاقات الاجتماعية وتفتت العصبيات القبلية، ومنها أن المؤثرات الثقافية أسهمت فى ازدهار شعر الصداقة حيث اتسعت حركة الترجمة وانتقلت مفاهيم الصداقة عن طريق الأدب الفارسى والفكر اليوناني إلى الأدب العربى، ومنها أن موناقف نالشعراء من الصداقة تباينت ، فنظر إليها بعضهم من خلال رؤية مثالية تُعلى من قيمة الصداقة والصديق، ورآها بعضهم من خلال رؤية واقعية تنظر إلى الصديق بوصفه إنسانا يُصيب ويُخطئ، بينما نظر آخرون إلى الصداقة من خلال رؤية سلبية فشكك فى الصداقة وتربطها بالمصالح والمنافع المادية، وتركز على الصفات السلبية فى الصديق .

الكلمات المفتاحية: الصداقة، الشعر، القرن الثاني الهجري، الرؤية، الأداة.

Friendship in the poetry of the second century AH, the vision and the tool.

Issam Lotfi Wahban
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Damanhour University, Arab Republic of Egypt.
Email: asam.whban.98765@gmail.com

Abstract : This research is concerned with studying one of the poetic phenomena that flourished in the poetry of the second century AH with remarkable prosperity as a result of social and cultural influences, and by that we mean the poetry of friendship, which deals with this lofty human relationship and stands on the importance it represents in the life of the individual who is described as civil by nature who cannot To live in isolation from people, especially friends who share in joys and sorrows, and fill his life with joy and happiness. The researcher reached several results, including: The poetry of friendship flourished in the second century AH as a result of several factors, including social influences, as the Arab society at that time was exposed to social changes Kubiri witnessed the emergence of new social classes, most notably the "Mawali" or "Muwallis" class, which played an important social role. The mixing of Arabs with other races also increased, which led to the expansion of social relations and the disintegration of tribal fanaticism, including that cultural influences contributed to the flourishing of friendship poetry, as the translation movement expanded. And the concepts of friendship were transmitted through Persian literature and Greek thought to Arabic literature, including that the poets' opinions about friendship varied. Some of them looked at it through an idealistic vision that exalts the value of friendship and friend, and some of them saw it through a realistic vision that looks at the friend as a person who makes mistakes and makes mistakes, while others look at friendship through a negative vision, and questioned friendship and linked it to interests and material benefits, and focused on the negative qualities in the friend. .

Keywords: Friendship, Poetry, The second century AH, The vision, The tool.

مقدمة

يعنى هذا البحث بدراسة ظاهرة من الظواهر الشعرية التى ازدهرت فى شعر القرن الثاني الهجرى ازدهاراً ملحوظاً نتيجة لمؤثرات اجتماعية وثقافية ونعنى بذلك شعر الصداقة الذى يتناول هذه العلاقة الإنسانية السامية ويقف على ما تمثله من أهمية فى حياة الفرد الذى يوصف بأنه مدني بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس وبصفة خاصة الأصدقاء الذين يشاركونه فى الأفراح والأتراح ، ويغمرون حياته بالأنس والبهجة .

وتتبع البحث هذه الظاهرة الشعرية موزعاً على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ويعنى بالوقوف على رؤية الذات الشاعرة من الصداقة، من خلال ثلاثة عناصر هى:

١- الرؤية المثالية التى تنظر إلى الصداقة بوصفها قيمة مثالية منشودة.

٢- الرؤية الواقعية التى تنظر إلى الصديق بوصفه إنساناً يُصيب ويخطئ.

٣- الرؤية السلبية التى تكشف الصداقة الزائفة وترفضها.

أما المبحث الثاني: فيقف على مضامين شعر الصداقة، وما شملته من الحب والخصام والعتاب والاعتذار والرثاء والهجاء والنصح وغيرها.

وأخيرًا المبحث الثالث: وهو يتتبع السمات الفنية لشعر الصداقة من خلال اللغة والتصوير .

وينتهي البحث برصد النتائج التى توصل إليها .

والله الموفق والمستعان .

التمهيد

أولاً: مفهوم الصداقة

من(الصدق) تنبع (الصداقة)، ففي (لسان العرب): الصداقة: مصدر التصديق، واشتقاقه أنه صدقه المودة والنصيحة. والصديق: المصادق لك، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق. فالصداقة من (الصدق)[١].

وذكر ابن فارس أن "الصداقة مشتقة من الصدق والمودة"[٢] وإلى هذا المعنى ذهب الأزهرى فقال: "والصداقة مصدر الصديق، والفعل: صادقه مصادقة، واشتقاقه أنه صدقه المودة والنصيحة"[٣]، ويُعرِّف ابن دريد الصديق بأنه " الرجل الذى يصادقه المودة " [٤] .

وجاء فى كتاب (الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكرى : أن الصداقة تعنى اتفاق الضمائر على المودة [٥] .

وقد وردت لفظة (الصداقة) فى القرآن الكريم فى موضعين ، الأول فى قوله تعالى: {لَّيسَ عَلَى ٱلأَعمَىٰ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلأَعرَجِ حَرَج وَلَا عَلَى ٱلمَرِيضِ حَرَج وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم أَن تَأكُلُواْ مِن بُيُوتِكُم أَو بُيُوتِ ءَابَآئِكُم أَو بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُم أَو بُيُوتِ إِخوَٰنِكُم أَو بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُم أَو بُيُوتِ أَعمَٰمِكُم أَو بُيُوتِ عَمَّٰتِكُم أَو بُيُوتِ أَخوَٰلِكُم أَو بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُم أَو مَا مَلَكتُم مَّفَاتِحَهُ أَو صَدِيقِكُم لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَأكُلُواْ جَمِيعًا أَو أَشتَاتا فَإِذَا دَخَلتُم بُيُوتا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم تَحِيَّة مِّن عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَة طَيِّبَة كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلأَيَٰتِ لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ }[٦] .

فقد جاءت لفظة (الصديق) فى الآية الكريمة فى دائرة الأهل والأقارب إعلاء لمكانته وقيمته .

أما الموضع الثاني الذى ورد فيه لفظة (الصديق) ، فجاءت فى قوله تعالى: {وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ، فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [٧].

فقد وصف الصديق بـ (الحميم) تقديراً لمكانته.

وذكر الزمخشرى أن من " عظيم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن " [٨] .

واهتم الفلاسفة بالوقوف على مفهوم الصداقة وتأكيد قيمتها وأهميتها فى حياة الإنسان والمجتمع ، فعرَّف أرسطو الصداقة بأنها " عطف متبادل بين شخصين حيث يريد كل منهما الخير للأخر " [٩] كما ذكر أن " الصداقة إنما هى حدَّ وسط بين خلقين ، فالصديق هو الشخص الذى يعرف كيف يكون مقبولاً من الآخرين " [١٠] .

وعرَّف المعجم الفلسفي الصداقة بأنها " عاطفة مكتسبة ، متبادلة ، تقوم على ضرب من الاختيار والتفضيل ، منشؤها التعاطف والمشاركة فى الميول والمشارب ، وأساسها المساواة بين الأصدقاء ، وتُعزّزها المخالطة ، والمصاحبة والصداقة الحقّة بريئة من الغرض " [١١] .

واهتم علم النفس بتعريف الصداقة، فعرَّفها بعض علماء النفس بأنها "علاقة بين شخصين، أو أكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية"[١٢].

ويقترن مفهوم (الصداقة) بمفهوم (الأخوة)، ويتفق المفهومان فى كونهما رباطاً اجتماعياً، وقد عدَّ القرآن الكريم الأخوة من الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١٣].

ويبدو أن مفهوم (الأخوة) كان سابقاً على مفهوم (الصداقة) فى النثر الأدبي، إذ كتب عبد الحميد بن يحيي الكاتب رسالة فى (الإخاء)[١٤] وصفت بأنها "باكورة رسائل كثيرة عرضت للموضوع ذاته من قبل أكبر الكتاب" [١٥] وتعدُّ هذه الرسالة رائدة فى تناول هذا الموضوع ، إذ حدَّد فيها عبد الحميد الكاتب مفهوم (الإخاء) وأسسه فقال: " فإنّ أولى ما اعتزم عليه ذوو الإخاء وتواصل عليه أهل المودَّات ما دعا أسبابه صدق التقوى، وبنيت دعائمه على أساس البرّ ثم انهد البناء حرير التواصل وشيّده مستعذب العشرة، فادَّعم قوياً، وصفا مونقاً، وأخلصته المقة منعطنة، وسكنت به القلوب أنيسة، وسمت به من مواصلة الهمم مستعلية عن كل زائغ مُعتاق، ومخوف عارض"[١٦].

فالكتاب يقرن الإخاء بالتقوى والبرّ وحسن العشرة والمحبة وصفاء المودة وهى سمات مشتركة بين الإخاء والصداقة .

ثانيًا: مؤثرات ظهور شعر الصداقة:

ازدهر شعر الصداقة والصديق وكثر وجوده فى القرن الثاني الهجرى بصورة ملحوظة ، حتى عدَّه بعض الباحثين من الموضوعات الجديدة التى ظهرت فى تلك الفترة استجابة لعوامل التطور التى غيرت صورة المجتمع آنذاك (١٧) .

والحق إن شعر الصداقة كان موجوداً قبل القرن الثاني الهجرى ، ولكنه لم يكن بهذه الكثرة أو التوسع أو الاهتمام الذى نجده عند شعراء القرن الثاني الهجرى : وقد أسهمت عدة مؤثرات فى ذلك ومنها:

١- المؤثرات الاجتماعية:

حيث اتسعت الفتوحات الإسلامية فشملت المناطق الفارسية وما وراء النهر والمناطق الهندية فى السند ، وقد " نتجت عن فتوحات هذه المناطق المتنوعة آثار كبرى فى حياة الجماعة الإسلامية " (١٨) ، وتعرض المجتمع العربي لتغيرات اجتماعية كبرى ، فنشأت طبقة جديدة مولدة نتيجة اختلاط العرب بالأجناس الأخرى ، لاسيما العنصر الفارسي ، فذابت العصبيات القبلية ، واتسعت العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، وأصبحت الصداقة مطلباً مهماً بديلاً عن الروابط القبلية بوصف الإنسان مدنياً بطبعة لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين ، فانعقدت صداقات كثيرة بين طبقات المجتمع لاسيما الشعراء المولدين الذين كان لهم وجود كبير فى القرن الثاني الهجرى . ولم يعد المجتمع العربي فى القرن الثاني مجتمعاً مغلقاً بل انفتح على عادات وتقاليد وثقافات جديدة ، وزاد عدد المسلمين من غير العرب وهم (الموالى) وكثر الرقيق ، ولعبوا دوراً اجتماعياً كبيراً فى المجتمع العربي ، وتعلق الناس بالحضارة المادية، وظهر ذلك فى الملابس والأطعمة والعادات والاحتفال

بالأعياد الفارسية، وتشكل المجتمع العربي تشكلاً جديداً كان له أثره فى السلوك الاجتماعي والعادات وطرائف التفكير .

٢- المؤثرات الثقافية

كما كان للمؤثرات الثقافية دور كبير فى ازدهار شعر الصداقة ، إذ شهد المجتمع العربي فى القرن الثاني الهجرى نشاطاً ثقافياً واسعاً ، وازدهرت حركة النقل والترجمة ولعل هذا ما جعل د. محمد مصطفي هدارة يرى أن شعر الصداقة فى القرن الثاني الهجرى (نشأ بتأثير أجنبي) [19].

ولعل فى ذلك جانباً كبيراً من الصواب، فلا ننسي الدور الثقافي الذى أداه ابن المقفع فى هذا الجانب، فقد نقل عن الفارسية كتابي "الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" وكلاهما يحتفي بالصداقة ويعلى من قيمتها ويحضُّ عليها[20].

وقد خصص ابن المقفع فى كتاب (الأدب الكبير) باباً بعنوان (الصداقة والصديق)، احتفي فيه بالصداقة بوصفها فضيلة إنسانية اجتماعية، وذكر أن (إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، هم زينة فى الرخاء، وعدّة فى الشدة، ومعونة فى المعاش والمعاد)[21] .

وربط ابن المقفع مفهوم الصداقة بالإخلاص للصديق والتضحية من أجله والوقوف إلى جانبه فى السرَّاء والضّرّاء وأن يوطن نفسه فى صحبته على أن يقبل منه العفو وتسخو نفسه فى معاملته [22] .

وارتفع ابن المقفع بمنزلة الصداقة إلى ، ذروة العلاقات الإنسانية والاجتماعية، فقال: "اجعل غاية تشبثك فى مؤاخاة من تؤاخى، ومواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره ، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت أو كالمرأة التى تطلقها إذا شئت، ولكنه عرضك ومروءتك، فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخدانه"[23].

فابن المقفع يرى أن الصداقة تعلو كل العلاقات بما فيها علاقة الزواج والقرابة ، وأنه لا يصح قطع عري الصداقة تحت أى ظرف ، ويسمو فى رؤيته للصديق فيراه (شرف الإنسان ومروءته) .

ويؤكد ابن المقفع فى غير موضع أن "مَنْ لا إخوان له فلا أهل له"[24]، وأن " من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه وإفضاء كل منهما إلى صاحبه ببثه"[25].

ويبدو أن أفكار ابن المقفع ومفاهيمه وجدت صدى كبيراً عند شعراء القرن الثاني الهجرى إذ نجد كثيراً منها تنبث فى أشعارهم.

المبحث الأول

رؤية الذات للصداقة

اهتم الشعراء فى القرن الثاني الهجرى اهتماماً ملحوظاً بالشعر الذى يتحدث عن الصداقة " باعتبارها صورة من صور العلاقات الإنسانية النبيلة ، وأفاضوا فى الحديث عن الصداقة الحقيقية القائمة على الإخلاص ، والصداقة الزائفة التى تنطلق من مصلحة مادية ولا تلبث أن تنكشف الأقنعة ، كما حرصوا على التحذير من صديق السوء أو الصداقة الزائفة " (٢٦) .

وقد عبر الشعراء عن أهمية الصداقة وبيان أثرها فى حياة الإنسان ، ودعوا إلى اتخاذ الأصدقاء والإكثار منهم، فقال محمود الوراق : (٢٧)

تَكَثَّر من الإخوانِ مَا اسْتَطعتَ إنَّهم عمادٌ إذا استَنْجَدتَهُم وظهورُ

فمَا بكثيرٍ ألف خلٍ وصاحبٍ وإن عدوًا واحداً لكثيرُ

ويعبر أبو العتاهية عن هذا المعنى فيقول (٢٨) :

وإنّى لَمُشْتاقٌ إلَى ظِلِّ صَاحبٍ يَرِقُّ وَيَصْفُو إنْ كَدَرتُ عَلَيهِ

ويرى الخليل بن أحمد أن الأصدقاء الأوفياء صاروا يمثلون نسبة ضئيلة فى زمنه ، ويراهم – وقد أسنَّ – ما بقي له من ملذَّات الدنيا . يقول (٢٩) :

ومَا بَقِيَتْ مِنَ اللذَّاتِ إلا مُحَاوَرةُ الرجالِ ذَوى العُقُولِ

وقَد كَانوا إذا عُدُّوا قَلِيلاً فقَد صَاروا أقلَّ مِن القليلِ

ويعزو أبو نواس انجذاب الأصدقاء إلى بعضهم بتألف الأرواح ويضمن كلام النبي – ﷺ – " الأرواحُ جنودٌ مُجندة ، ما تعَارفَ مِنها ائتلَفْ، ومَا تَناكَر مِنها اختلفْ" فيقول (٣٠):

للهِ فِى الأرضِ أجْنَادٌ مُجَنَّدةٌ أَرْواحُها بَيننا بِالصدقِ تَعْتَرِفْ

فمَا تَعارفَ مِنهَا فَهو مُؤتَلَفْ وَمَا تَنَاكَر مِنْهَا فَهوَ مُخْتَلَفُ

وقد توزعت رؤية الشعراء للصداقة بين ثلاث رؤى هى : الرؤية المثالية – الرؤية الواقعية – الرؤية السلبية .

١- الرؤية المثالية :

حدَّد الشعراء رؤيتهم للصديق المثالي الذى تجدر مصادقته ، فاشترطوا أن يتسم بالصدق والمروءة والشهامة والوفاء والتضحية والكرم والوقوف إلى جانب الصديق فى السرَّاء والضرَّاء ، وعبَّروا عن ذلك بصور ومعان مختلفة ، فنجد بشار بن برد يرسم صورة مثالية لهذا الصديق فيقول [٣١] :

وأخٌ ذِى ثِقـــــــةٍ آخيتُـــــــهُ مَاجِـدُ الأعـراقِ مَـأمُونُ الأَدبْ

أمْحَـــضَ اللهُ لـــــه أخْلاقَـــهُ فَهـي كَـالإبْريزِ مِـن سِـرِّ الـذهبْ

عَزَّنِـي المعـروفَ حَتَّـى عَلِقَـتْ كُـلُّ كَـفٍّ لِـى مِنْـه بِسَـببْ

فَهـو يُعْطينـي وأَعْطَـي فَضْـلَه سُـبُلَ الْغَيـثِ تَـدلَّى فَسـكبْ

فَـإذا أَبْصَـرَ وَجْهِـي مُقْـبِلاً ضَـحِكَتْ عَيْنَـاه مِـنْ غَيْرِ عَجَبْ

وإذا كَلَّمْتُـــــــه وَاحـــــــدة هَيْجَـتَ مِنْـه عـلالات الطـربْ

وإذا مَـا غِبْـتُ عَنْـهُ سَـاعةً أَنَّ لِلْغَيْبَـةَ مِـنْ غَيـرِ وَصَـبْ

فَهُـو لِـى – وَالحَمـدُ للهِ – غِنـي وَعَفَـافٌ مِـنْ دُنَـي المُكْتَسَـبْ

فمفهوم الصديق المثالي عند بشار أن يكون ذا ثقة ، ونسب أصيل ، وأخلاق فاضلة كالإبريز ، وأن يكون معطاء ، طليق الوجه ، بشوشاً إذا رأى صديقه ، يطرب لحديثه ، وأن يتألم لغيبته .

ويضيف بشار إلى هذه الصورة المثالية صفات أخرى فيقول : [٣٢]

خَيرُ إخوانِـك المُشارِكُ فِـى المُـرِّ وَأيْـنَ الشَّـريكُ فِـى المُـرِّ أَيْنَـا

الـذى إنْ شَـهِدتَ سَـرَّكَ فِـى الحَـيِّ وَإنْ غِبْـتَ كَـانَ أُذْنـا وَعَيْنَـا

مِثْـلَ حُـرِّ اليَـاقُوتِ إن مَسَّـه النَّـا رُ جَـلاه الـبَلا فَـازْدَادَ زَينـا

فالصديق المثالي هو الذى يشارك صديقه فى المحن ويحفظ السرّ ويكون بمثابة العين والأذن له ، فيرى بعينه ويسمع بأذنه ، ويشبهه – فى ارتفاع قيمته – باليواقيت الخالص الذى تزيده النار حُسناً ، أى أن الشدائد تزيده صلابة وقوة .

أما صالح بن عبد القدوس فيرى أن الصديق المثالي هو مَنْ يدافع عن صديقه فى غيبته ومَنْ يبذل ماله لصديقه عند الفاقة يقول : (٣٣)

وليس أخى من ودّني رأى عينه ولكن أخى من ودّني فى المصائب

ومن ماله مالى إذا كنت معدما ومالى له إن عض دهر بغارب

وهناك شروط أخرى يراها صالح بن عبد القدوس واجبة فى الصديق ، فيقول : (٣٤)

تَخيَّر من الإخوان كلَّ ابنَ حرةٍ يَسرُّك عِنْدَ النائباتِ بَلاؤهُ

وقَارِن إذا قارنْتَ حُراً فَإنَّما يَزين ويَزرى بِالفَتي قُرناؤهُ

حَبيبًا وَفيًا ذا حِفاظٍ بِغَيْبةٍ وبِالبشْرِ والحُسْنَي يَكُونُ لِقَاؤهُ

أريبٌ إذا شَاورتَ فِى كلِّ مُشْكلٍ أديبٌ يَسوءُ الحَاسِدينَ بَقَاؤهُ

فَلَنْ يَهْلكُ الإنْسَانُ إلا إذا أَتَي مِنَ الأمرِ مَا لَم يَرضَه نُصَحاؤهُ

تَمسَّك بِهَذا إنْ ظَفِرتَ بِودِّهِ فيُهْنِيكَ مِنْهُ ودُّه وَوفَاؤهُ

إذا المَرءُ لَمْ يَصْحَبْ صَدِيقاً موافياً عَلَى أَى حَالٍ كَانَ خَاب رَجَاؤهُ

وَإنْ هُوَ لَمْ يَطْلبْ صَدِيقاً لِنَفْسِهِ فَنَادِ بِهِ فِى النَّاسِ هَذِا جَزَاؤهُ

إذا قَلَّ مَاءُ الوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤهُ وَلا خَيْرَ فِى وَجهٍ إذَا قَلَّ مَاؤهُ

فهذا الصديق يجب أن يكون حراً، يبلي بلاء حسناً فى النائبات، وفياً، حافظاً للغيبة، يتمتع بالحكمة والذكاء والحنكة ، فإذا شاوره صديقه أخلص له المشورة ، وأن يتصف بالحياء والكرم .

والصديق المثالي عند مطيع بن إياس هو من يتغاضي عن هفوات صديقه ويكون متسامحاً ، ويحفظ العهد – وإن قدُم – وتطابق أقواله أفعاله . يقول (٣٥):

إنّمَا صَاحِبي الَّذى يَغْفرُ الذَّنْـ ـبَ وكَفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقَلُّهْ

الَّذِى يَحْفَظُ القَدِيمَ مِنْ العَهْـ ـدِ وَإنْ زَلَّ صَاحبٌ قَلَّ عذلُهْ

وَرَعَي مَا مَضَي مِنَ العَهْدِ مِنْهُ حِينَ يُؤَدِى مِن الجَهَالَةِ جَهْلُهْ

لَـيْسَ مِـنْ يُظْهِـرُ المَـوَدَّةَ إِفْكَـاً وَإِذَا قَـالَ خَـالَفَ القَـولُ فعلُّـهُ

ويتكـىء أبـو العتاهيـة فـى رؤيتـه للصـديق المثـالى علـى القـيم الدينيـة الأخلاقيـة، فالصـديق الـذى يـودُّه هو من يترفـع عن الفواحش، ففى القلب، لا يمنع الخير عن صاحبه ولا يهجره . يقول : (٣٦)

أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَواحشَ سَمْعُهُ كَـأنَّ بِـهِ عَـنْ كُـلِّ فَاحِشَـةٍ وَقْـرَا

سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَدْرِ لا بَاسِطاً يَداً وَلا مَانِعًـا خيـراً ولا قـائلاً هجـراً

ولا ينفصـل المعنـى الأخلاقـي للصـديق عنـد أبـي العتاهيـة عـن المعنـى الديني ، فيؤكد أن الصداقة يجب أن تكون خالصة لله دون منافع ، وأن يكون هذا الصديق صحيح الدين ، قوىّ الإيمان . يقول : (٣٧)

أَلا إِنَّمَـا الإِخْـوانُ عِنْـدَ الَحَقَـائِقِ وَلَا خَيْرَ فِى ودِّ الصَّدِيقِ المُمَاذِقِ

لَعَمْرَكَ مَـا شَـئ مِن العَيْشِ كُلُّـهُ أَقَـرَّ لِعَيْنِـي مِـنْ صَـديقٍ مُوافِـقِ

وَكُـلُّ صَـدِيقٍ لَـيْسَ فِـى الله ودُّه فَـإِنّى بِـهِ فِـى ودِّهِ غَيـرُ وَاثِـقِ

أُحِبُ أَخـاً فِـى الله مَـا صَـحَّ دِينُـهُ وَأَفْرشـه مَـا يَشْـتهي مِـن خَلائِـقِ

وأَرْغَـبُ عَمَّـا فِيـهِ ذُلَّ دَنِيَّـةٍ وَأَعْلَـمُ أَنَّ اللهَ مَـا عِشْـتُ رَازِقِـي

صَـفي مِـن الإخـوانِ كُـلَّ مُوافـقٍ صَبور عَلَـى مَـا نَابـه مِـن بَوائِـقِ

والصديق الحقُّ – فى نظر أبي العتاهية – هو الصادق الصدوق الذى يقف إلى جانب صديقه فى الشدائد بل يضرّ نفسه لينفع صديقه ويدفع عنه حوادث الزمن وتقلباته . يقول : (٣٨)

إنَّ أخَـاك الصِدقُ مَـن كَـان مَعَكْ وَمَـنْ يَضُـرُّ نَفْسَـهُ لِيَنْفَعَـكْ

وَمَـنْ إِذَا رَيْـبُ الزَّمَـان صَـدعكْ شَـتَّتَ فِيـهِ شَـمْلَهُ لِيَجْمَعَـكْ

والصداقة المثلي – فى نظر أبي نواس – تعنى التمازج والثقة والتفاهم والتضحية وتبادل المنافع . يقول : (٣٩)

وأخٍ إِنْ جَـاءنِي فِـى حَاجَـةٍ كَـانَ بِالإِنْجَـازِ مِنِّـي وَاثِقًـا

وإِذَا فَاجَأتُـهُ فِـى مِثْلِهَـا كَـانَ بِـالْرَّدِ بَصِـيراً حَاذِقًـا

يُعْمِلُ الفِكرةَ لِـى فِـى الـرَّد ، مِـن قَبــلِ أَن أَبْــدأَ فِيهــا نَاطِقًــا

والصديق المثالي – عند مروان بن أبي حفصة – هو الصديق الكامل الذى تتطلع إليه العيون وتشرئب له الأعناق لتفرد صفاته وحُسن أخلاقه التى لا تتغير ولا تصدأ كما لا يصدأ الذهب . يقول : (٤٠)

مُوفَّــقٌ لِسَــبيلِ الرُّشْــدِ مُتَّبَــعُ يُزَينَــهُ كُــلُّ مَــا يُــؤْتَي وَيَجْتَنِــبُ
تَسْمُو العُيونُ إليهِ كُلَّمَا انْفَرجَتْ لِلناسِ عَن وجْهِهِ الأبْوابُ وَالحُجَبُ
لَــه خَلائــقٌ بِــيضٌ لا يُغَيِّرهَــا صِرفُ الزَّمانِ كمِا لا يِصْدأُ الذَّهبُ

٢- الرؤية الواقعية :

من الشعراء من نظر إلى الصداقة والصديق نظرة واقعية ، فرأى أن الصديق إنسان يصيب ويخطئ وقد يصدر عنه ما يسئ إلى صديقه ، وكذلك فعلى الطرف الأخر أن يتغاضي عن عيوب أصدقائه وأن يأخذهم على علّاتهم وألا يعاتبهم فى كل كبيرة وصغيرة ، وهذه هى الرؤية التى صدر عنها بشار فقال: (٤١)

إذا كنتَ فـى كـلِّ الـذنوبِ مُعاتبًـا صَـديقَكَ لَـم تَلْـقَ الَّـذِى لا تُعَاتِبَـهْ
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه مفــارقُ ذَنــبٍ مَــرةً وَمُجَانِبَــهْ
إذا أنتَ لَمْ تَشربْ مِرارِ عَلَى القَذَى ظَمِئْتَ ، وأَىُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبهْ

فبشار ينصح بألا يعاتب الإنسان صديقه فى كل كبيرة وصغيرة، لأن ذلك قد يضايقه وينتهي الأمر بالقطيعة والهجر فلا يجد من يعاتبه، ولذلك يضع بشار الإنسان أمام خيارين، فإما أن يصل صديقه ويقبله على علّاته ويتغاضى عن أخطائه حتى تدوم الصداقة وإما أن يكثر من عتابه فيجد نفسه وحيداً بلا صديق، وفى سيَاق الرؤية الواقعية يؤكد بشار حقيقة أنه لا أحد يحيا فى صفاء دائم وهو ما عبر عنه بالصورة الجميلة التى تصدرها الاستفهام "وأى الناس تصفو مشاربه؟".

ويقترب أبو العتاهية من رؤية بشار فينصح بأن يتغاضي المرء عن زلات صاحبه ، ليس هذا فحسب ، بل يلتمس لها الأعذار وهذا يمثل ذروة الخلق الكريم . يقول : (٤٢)

إذا مَا بَدتْ مِن صَاحبٍ لَكَ زِلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزِلْتِهِ عُذْرَا

ويؤكد أبو العتاهية ما رآه بشار من أنه لا أحد يخلو من العيوب ، فيقول : (٤٣)

أَتَطْلُبَ صَاحِباً لا عَيْبَ فِيهِ وأىُّ النَاسِ لَيسَ لَه عيوبُ

ونجد مثل هذه الرؤية الواقعية عند مطيع بن إياس ، فيقول : (٤٤)

ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحبا لا تزل ما عاش نعلُهْ
لا تجده وإن جهدت وأنى بالذى لا يكاد يوجد مثلُهْ
إنما صاحبي الذى يغفر الذنـ ـب ويكفيه من أخيه أقلُّهْ

فمطيع يقدم رؤيته فى إطار منطقي ، فيرى أن طلب الصديق المثالي الذى لا يخطئ ، ضرب من المستحيل مهما جهد الإنسان نفسه أو جدَّ من طلبه ، ومن ثم فلا مناص من أن تتغاضى عن عيوب الصديق .

ويقترب محمود الوراق من هذه الرؤية ، فيدعو إلى أن يقبل المرء صديقه على علاّته وأن يرعى ما كان من عهد الصداقة . يقول : (٤٥)

إن التَجنّي قَاطِعُ الرَفدِ والغيظُ يُخرجُ كامنَ الحقدِ
فاقْبِلْ أَخَاكَ عَلَى تَغيرِهِ وَارعْ الَّذِى قَدْ كَانَ مِنْ عَهْدِ

ويرى الوراق كذلك أن على المرء أن يتقبل هفوات صديقه وأن يصفح عن زلاته بدلاً من معاندته حتى تستمر الصداقة . يقول (٤٦) :

لا بِرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعدةٍ فاشْكُر أَخَاك عَلى مُسَاعَدَتِهْ
وإذا هَفَا فأقلّه هَفْوتَهُ حتى يعودَ أَخًا كَعَادَتِهْ
فالصفحُ عن زللِ الصَّديقِ – وَإنْ أَعْيَاكَ – خيرٌ مِن معاندتِهْ

وينصح الوراق بأن يتوسل المرء بالمدارة فى حالة غضب الصديق حتى يحتويه ويدرأ الغيظ الذى يبعث الأحقاد الكامنة فى الصدور . يقول [٤٧] :

دارِ الصَّديقَ إذا استَشاطَ تَغضُّباً فالغَيظُ يُخرجُ كَامِنَ الأحْقَادِ

ولربَّما كَان التغضُّبُ بَاعِثًا لِمَثالبِ الآباءِ والأجْدادِ

وعلى هذا النحو تلاقت رؤية الشعراء الواقعية فى الصداقة ، وتشكلت هذه الرؤية لديهم من خلال ما استمدوه من تجاربهم وتجارب الحياة .

٣- الرؤية السلبية :

نظر كثير من شعراء القرن الثاني إلى الصداقة نظرة سلبية متشائمة ، فشككوا فى الصداقة وفى وجود الصديق الوفي ، ورأوا أن سوق الوفاء قد كسدت، وأن كثيراً ممن ادَّعوا الصداقة كانوا أدعياء غير جديرين بهذه العلاقة الإنسانية السامية ، وأسهبوا فى الحديث عن عذر الأصدقاء وتقلباتهم ونفاقهم وغير ذلك من مثالب .

ويبدو أن هذه الرؤية شاعت عند كثير من الناس لما مرّوا به من تجارب محبطة ، حتى إن بعضهم لزم بيته ورفض المجالس واعتزل الخاصة والعامة ، وعوتب فى ذلك فقال[٤٨] : " لقد صحبت الناس أربعين سنة فما رأيتهم غفروا لى ذنباً ، ولا ستروا لى عيباً ، ولا حفظوا لى غيباً ، ولا أقالوا لى عثرة ، ولا رحموا لى عبرة ، ولا قبلوا منى عذرة ، ولا فكوّني من أَسْرة ، ولا جبروا منى كسرة ، ولا بذلوا لى نصرة ، ورأيت الشغل بهم تطبيعاً للحياة وتباعداً من الله ".

ويذكر أبو حيان التوحيدى أن جعفر بن يحيي البرمكي قال لبعض ندمائه: كم لك من صديق ؟ قال: صديقان، قال: إنك لمُثرٍ من الأصدقاء.

كما ينقل أبو حيان عن عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) قوله [٤٩]: "ما أعياني شئ كما أعياني أنى لا أجد أخاً فى الله" وقد انتقلت هذه الرؤية إلى أوساط الحكام، فيروى أبو حيان أنه لمّا غنى "عَلَويه" المأمون قول الشاعر [٥٠]:

وإنّـى لَمشـتاقٌ إلَـى ظِـلِّ صَـاحِبٍ يَـرِقُّ ويصْـفُو إنْ كَـدرتُ عَليـهِ
عَذيرى مِن الإنسان لا إنْ جَفَوْتُهُ صَفا لِى ولا أن صرت طوعَ يديهِ

استعاده المأمون مرَّات ثم قال : هاتِ يا علويه هذا الصاحب ، وخذ الخلافة ، قد صرنا – ولله الحمد – نرضي اليوم من الصاحب والجار والمعامل والتابع والمتبوع أن يكون فضلهم غامراً لنقصهم ، وخيرهم زائداً على شرّهم ، وعدلهم أرجح من ظلمهم ، وأنهم أن لم يبدلوا الخير كله لم يستقصوا الشرَّ كله " [٥١] .

وقد تعمقت هذه الرؤية – فيما بعد – عند كاتبٍ مثل أبي حيان التوحيدى ، فنظر إلى الصداقة نظرة شديدة التشاؤم حتى إنه قال : " وإذا أردت الحق علمت أن الصداقة والألفة والأخوّة والمودة والرعاية والمحافظة قد نبذت نبذاً ، ورفضت رفضاً ، ووطئت بالأقدام ، ولويت دونها الشفاه ، وصرفت عنها الرغبات " [٥٢] .

وقد وجدت هذه الرؤية السلبية المتشائمة صدى كبيراً لدى شعراء القرن الثاني ، فنجد أبا العتاهية يعبر عن ضيقه وتبرُّمه بالناس وما طبعوا عليه من أخلاق سيئة مما اضطره إلى العزلة والوحدة . يقول [٥٣] :

برمـــت بالنـــاسِ وأخلاقِهـــم فصِـــرتُ اســـتأنسُ بالوحـــدة
مَـا أكثـرَ النَّـاسِ لَعمـرى ومـا أقلُّهـــم فِـــى حاصِـــل العـــدة

وله فى معناه [٥٤]:

وحـــــدةُ الإنســـــانِ خيـــــرٌ مِـــن جَلـــيسِ الســـوءِ عِنـــدهْ
وجَلـــــيسُ الخيـــــرِ خيـــــرٌ مِـــن جُلـــوسِ المـــرءِ وَحـــدهْ

ويعبر أبو العتاهية عن خيبة أمله فى العثور على أخ فى الله يخلص له المودة فأعوزه ذلك برغم كثرة الناس حتى صار وحيداً بينهم يجترّ مرارة الغدر والنفاق. يقول : [٥٥]

طلبتُ أخًا فِى اللهِ فِى الغَربِ والشرقِ فَأَعْوزنِي هَذا عَلى كَثرةِ الخلقِ

فصـــرت وحيـــداً بيـــنهم متصـــبرًا على الغدر منهم والملالة والمذقِ

ولم تكن رؤية أبي العتاهية تلك من فراغ وإنما كانت وليدة تجارب محبطة مع الناس ، فيذكر أنه فُجع فى كثير من الأصدقاء ممن تنكروا للصداقة وخانوا عهدها بينما ظلّ هو وفياً لا يتبَّدل ولا يخون . يقول : (٥٦)

آمنـــــتُ بـــــالله وأيقنـــــتُ والله حســـبي حيثمـــا كنـــتُ

كَـــم مـــن أخٍ لـــى خـــاننني ودُّه ومـــا تبـــدلت ومـــا خنـــتُ

الحمـــــدُ للهِ علـــــىُ صـــــنعهِ إنـــى إذا عـــزَّ أخـــي هنـــتُ

ويرى أبو العتاهية أن كثيراً ممن يدَّعون الصداقة ينطلقون من مطامع ومنافع مادية ، فإذا قلَّ مال الصديق انقلبوا عليه وانصرفوا عنه . يقول : (٥٧)

إذا قـلَّ مـالُ المـرءِ قـلَّ صـديقُه وضَـاقتْ بِـهِ عَمَّـا يُريـدُ طَريقُـهُ

وقصَّر طرف العينِ عنـه كَلالـه وأســرع فيمــا لا يحــب شــقيقُهُ

وذم إليـــه خدنـــه طعـــم عـــوده وقَـد كـان يَسْـتحليه حِـين تذوقـهُ

ويصدر أبو نواس عن هذه الرؤية السلبية المتشائمة تجاه الصداقة والأصدقاء، ويستمد رؤيته من تجاربه الواقعية ومعاناته مع الناس، فيقول: (٥٨)

عليـــك باليـــأسِ مـــن النـــاسِ ، إن الغنـي ، ويحـك ، فـى اليـأسِ

كمْ صَاحبٍ قَد كَان، لِى، وامقًا ، إذْ كَـــان فِـــى حـــالاتِ إفـــلاسِ

أقُـولُ لَـو قَـد نَـال هَـذا الغنـي ، أَقعـــدَني حُبًـــا عَلـــى الـــراسِ

حَتَّـى إذا صَـار إلـى مَـا اشْـتَهَي ، وَعـــده النـــاس مـــن النـــاسِ

قطَّـــع بِـــالفطيسِ حَبـــلَ الصَـــفا مِنِّـــى ، ولمَّـــا يَـــرض بالفـــاسِ

فأبو نواس وصل من خلال تجاربه المحبطة إلى اليأس من معاملة الناس ، ويذكر مثالاً لصاحب له كان لصيقاً به ، قريباً منه حين كان هذا الصاحب مفلساً لا يجد مالاً ، حتى أغناه الله فانقلب عليه وقطع حبل الوراد .

ويقدم أبو نواس نموذجاً آخر لمن يستعبد إخوانه بثرائه ويتكبر عليهم مما دفع أبا نواس إلى أن يقابل كبره بمثله . يقول (٥٩) :

ومســـتعبدٍ إخْوانَـــهُ بِثَرائِـــهِ لبســتُ لَــه كبــرا أبــرَّ عَلــى الكِبْــرِ
إذا ضــمني يومــا وإيــاه محفــلٌ رأى جــانبي وعــرا يزيــد علــى الــوعرِ
أخَالفـــه فـــى شـــكلِهِ ، وأجـــره على المنطق المنزور، والنظر الشزرِ
وقد زادني تيها على النـاس أننـي أرانـــي أغنـــاهم ، وإن كنـــت ذا فقـــرِ
فــوالله لا يُبــدِى لِســانِي حاجــةً إلـــى أَحـــد حَتَّـــى أَغِيـــبَ فِـــى قَبـــرِى
فَلا تَطْمَعنَّ فِى ذاك مِنِّي سوقة ، ولا ملـك الـدنيا المحجـب فـى القصـرِ

ونجد مثل هذه الرؤية عند صالح بن عبد القدوس ، وهو يتفق مع أبي العتاهية وأبي نواس فى رفض نموذج الصداقة المادية التى تربط الصداقة بالمال ، فيقول : (٦٠)

إذا قَـلَّ مـالُ المـرءِ قَـلَّ صـديقُه وضَـاقت عليــهِ أرضُــه وسَـماؤهُ
وأصـــبحَ لا يَـــدرِى وَإنْ كَـــانَ أَقْدامُـــه خَيـــرٌ لَـــه أَم وراؤهُ
إذَا قَلَّ مَالُ المرءِ لَم يَرضَ عَقْلُهُ بنُــوه وَلَــمْ يَغْضَــبْ لَــه أَوْليــاؤهُ
فإنْ غَابَ لَم يَشتقْ إليهِ صَديقُه وَإنْ آب لَــم يَفْــرحْ بِــه أَصــفاؤهُ
وإنْ مَاتَ لَم يُفْقدْ وَلَم يَحزنُوا لَه وإنْ عَاشَ لَم يَسرر صَديقًا بقاؤهُ

ويرفض صالح بن عبد القدوس ذلك الصديق الذى يواصل صديقه فى حالة اليُسر ثم ينقلب عليه فى حالة العسر ، فيقول : (٦١)

مَـــالى صَـــديقُ مَـــنْ يُوصِـــلْنِى فـى اليُسْرِ ثُم يَصُدُّ فـى العُسْرِ

ويحذر صالح بن عبد القدوس من ذلك الصديق المتملق المراوغ ويراه عدوًا يجب تجنبه . يقول : (٦٢)

وإذا الصَـــديقُ لَقيتَـــهُ مُتَمَلّقًـــا فَهُـــوَ العَـــدُوُّ وحَقُّـــهُ يُتَجَنّـــبُ
لاخيـــرَ فـــى ودِّ امـــرى متملـــقٍ حلـــوُ اللســـانِ وقلبُـــه يتلهـــبُ
يلقـــاكَ يَحلـــفُ أَنَّـــه بِـــك وَاثـــقٌ وإذا تّـــوارى عَنـــكَ فَهـــو العقـــربُ
يُعْطِيك مِن طَرفِ اللّسانِ حَلاوةً وَيَـروغُ مِنـكَ كَمـا يَـروغُ الثَّعْلـبُ

ويرفض صالح بن عبد القدوس ذلك الصديق المتكبر الذى يتيه على أصدقائه حين يمن عليه الله بالمال ، فيقول : (٦٣)

تـــاه علـــى إخوانـــه قاســـمُ فصـــار مـــا يطـــرف مـــن كبـــرِهْ

أعـــــاده الله إلـــــى حالـــــه فإنـــــه يحســـــن فـــــى فقـــــرِهْ

وينتهي الحال بصالح بن بن القدوس إلى الدعوة إلى اعتزال الناس لأن الكثير منهم ليس جديراً بالصداقة . يقول : (٦٤)

كُن مَا اسْتطعتَ عَن الأنامِ بِمعزلٍ إنَّ الكّثيرَ مِنَ الوَرى لا يُصْحبُ

وينطلق بشار من الرؤية ذاتها ، فيزعجه المراء والنفاق والخداع ويرى أن الناس يغتابون المرء فى غيبته ويبدّلون الحسن قبحًا ، فإذا ما رأوه أمامهم قابلوه بوجه آخر مدحاً وإطراءً . يقول : (٦٥)

أنت فى معشرٍ إذا غِبتَ عَنهمْ بَـدَّلوا كُـلَّ مـا يَزينـكَ شِـيْنَا

وإذا مَـــا رَأوكَ قَـــالُوا جَمِيعًـــا أنـــتَ مِـــن أكـــرمِ البَرايـــا علـيْنَـــا

ويُقدّم بشار نموذجاً للصداقة الزائفة ، ولصديق أحمق يتودد إلى عدوه ويقابل بمعسول الكلام ويروغ منه فى وقت المحن والشدائد . يقول : (٦٦)

تَـــودُّ عَـــدوى ثـــمَّ تَـــزعُمُ أَنَّنـــي صَـديقُك لَـيسَ النُـوكُ عَنـك بِعـازبِ

عَدوى الَّذى آخى عَدُّوى وَمَن يَكُن صَديقُ صَديقِي فَهو لِى الدَّهر صَاحِبي

وَلَـيْسَ أَخِـى مَـنْ وَدَّنِـى رَأى عَيْنَـه وَلَكِن أَخِـى مَنْ وَدَّنِـي فِـى المَصَائِبِ

وَمَـن مَالُـه مَـالِى إذا كُنْـتُ مُعْـدَمًا وَمَـالِى لَـه إنْ عَـضَّ دَهـرٌ بِغَـاربِ

فَـلا تَحْمِـدَنَّ عِنْـدَ الرَّخَـاءِ مُوَاخيـا فَقَـدْ يـذكر الإخـوان عِنـد النوائـبِ

فمَـا أنـتَ إلا كَيـفَ أنـت وَمرحبـا وبالبـــذلِ رَواغَ كَـــروغِ الثَعالـــبِ

ويُقدِّم مطيع بن إياس نماذج أخرى للصداقة الزائفة ، فمنها هذا الصديق الذى أوهمه بالمودة والبذل ثم انصرف عنه حين قصده . يقول : (٦٧)

واهـــا لشـــخصٍ رجـــوتُ نائلَـــهُ حَتَّـــى انثنـــي لـــى بـــودّه صَـلَفا

لانَـــتْ حَواشِـــيه لِـــى واطمعنـــي حَتـــى إذا قُلـــتُ نِلتُـــه انصـــرفا

ويصور مطيع ابن إياس نموذجاً آخر لصديق سئ الصفات والأخلاق ، فهو كاذب فى كلامه ، لا يحفظ سرًّا ولا ينطق بكلام جاد ولا يعرف معنى الوفاء. يقول : (٦٨)

إنَّ مِمَّا يُزيدَنِى فِيكَ زُهداً أَنَّنِى لا أراكَ تُصدِّقَ حَرفَا
لا ولا تكتمُ الحديثَ ولا تنـ ـطقُ جدا ولا تمازحُ ظرفَا
وإذا منصفٌ أرادَك للنصـ ـفِ أبيتَ الوفاءَ وازددتَ خلفَا
وإذا قال عارفاً قلت سوءاً وإذا قَالَ مُنكراً قلت عرفَا

ويحذر حماد عجرد ومن الصديق الزائف الذى يتكلف المودة ويدَّعي الوفاء طالما كان صديقه من يُيسِر ، فإذا امتحنه الدهر فى ماله انقلب عليه وتُنكَّر له . يقول : (٦٩)

كَمْ من أخٍ لِى لَستَ تُنْكِرَهُ مَادُمتَ مِنْ دُنْياك فِى يُسْرِ
مُتصنعٌ لَك فِى مَوَدَّتِهِ يَلقَاك بِالتَّرحِيبِ والبشْرِ
يطرى الوفاءَ وذا الوفاء ويلـ ـحى الغدرَ مجتهداً وذا الغدرِ
فِإن عدا ، والدَّهرُ ذو غيرِ دَهر عَليك عَدا مَع الدَّهرِ
فَارْفُض بِإجمالِ مَودة مِن يُقلى المُقل وَيَعْشقُ المُثْرِى

ولا تختلف نظرة الحسين الخليع للصداقة عن نظرة أضرابه من الشعراء ، فنجده يصور تجربته مع أدعياء الصداقة الذين أخلص لهم المودة ولكنه فجع فيهم ولم ير منهم من يحفظ عهد الصداقة ، وهذا ما دفعه إلى الزهد فيهم . يقول : (٧٠)

وصَلتُكم جهدِى وَزِدتُ عَلى جُهدِى فَلمْ أَرَ فِيكُم مَن يَدومُ عَلى العَهْدِ
تَأَنَّيْتُكم جُهدَ الصَّديقِ لِتَقْصِدُوا وتَأْبُون إلا أنْ تَحِيدوا عَن القَصْدِ
فإن أمس فِيكُم زَاهداً بَعد رَغْبةٍ فَبعدَ اختبارِ كَان فِى وَصْلكُم زُهْدِى

ولم ينج محمود الوراق من غدر الأصدقاء ، فيقدم نموذجاً لصديق تعهده بالوداد والإخلاص حين كان بائساً فقيراً ، فما إن أنعم الله عليه بالمال حتى تنكّر للصداقة . يقول : (٧١)

وكنت أخى أيام عودك يابسُ فلما اكتسي واخضر صرتَ مع الدهرِ

لَعمركَ لَو ذوقتني ثمر الغنى أذقتك ما يرضيك من ثمر الشكرِ

فلو نلتَ مَا يَغنِى بِكَ اليوم أو غداً أنلتك مَا يُبقي إلى آخر الدَّهرِ

أَلَم تَر أَنَّ الفقرَ يُرجي له الغنى وأنَّ الغنى يُخشي عليه من الكفرِ

ومن خلال تلك الرؤية السلبية للصداقة كشف الشعراء عن نماذج كثيرة للصداقة الزائفة التى قامت على المصلحة والمنفعة المادية فكانت تجارب صادقة لهؤلاء الشعراء الذين أخلصوا للصداقة فقوبل وفاؤهم بالغدر وعطاؤهم بالجحود والنكران ، وكانت هذه الرؤية السلبية ظاهرة عامة عند أغلب شعراء القرن الثاني وقد تعمقت من خلال تجاربهم العملية المحبطة .

المبحث الثاني

مضامين شعر الصداقة

يتناول شعر الصداقة مضامين محددة تعكس العلاقات المتبادلة بين الشعراء فى صورها المختلفة ، ومنها العتاب والاعتذار والشكوى والرثاء والهجاء وغيرها .

١- العتاب :

يحتل العتاب المرتبة الأولى فى مضامين شعر الصداقة لوجود مادة شعرية غزيرة تعكس ما كانت تتعرض له علاقة الصداقة بين الشعراء من تقلبات وجفوة وإعراض ، فمن ذلك قول بشار بن برد : (٧٢)

أَراكَ اليوم لِى وغَدًا لِغَيْرِى ... وَبَعدَ غَدٍ لأقْرَبنا إليكَا

إذا آخيتَ ذا فارقْتَ هَذا ... كَأنَّ فِراقَه حَتمٌ عَليكَا

فأَقْدَمهم أَخَسَّهم جَميعاً ... وأَحْدثَهم أَحَبُّهم إليكَا

فبشار فى عتابه يكشف سلوك صديقه السلبي وتقلبه فى معاملة أصدقائه ، فإذا صادق أحداً فإن ذلك يكون على حساب صديق آخر يفقده ، حتى إن أقدم أصدقائه يبدون أخسَّاء فى نظره وأحدثهم هم الذين يحظون بمحبته .

ويتوجه بشار فى قصيدة أخرى – بالعتاب إلى صديق انقلب عليه برغم ما أسداه إليه بشار من معروف ومودة . يقول : (٧٣)

يَا صاحِ قَد كُنتَ زُلالا عَذبَا ... ثُمَّ انْقلَبْتَ بَعدَ لِينٍ صَعْبَا !

مَالِى وقَدْ كُنتُ لَكمْ مُحبَا ... أَقصي وما جَاوزت نُصحًا قَصَبَا ؟

يَا صاحِ قَد بُلِّغْتَ عَنِّى ذَنْبَا ... وَهَلْ عَلِمْتَ خُلُقِي مُنْكبَا

وهَلْ رَأيتَ فِى خلاطِي عُتْبَا ؟ ... أَلَمْ أُزيِنُ تَاجَك الذَّهبَا

بِالباقياتِ الصالحاتِ تحبي ... أضأن فى الحبِ وجزن الحبَا

إن بشاراً يستهل أبياته بخطاب صاحبه الذى كان فى مودته مثل الماء الزلال العذب ثم تغير وانقلب بعد الملاينة إلى الجفاء ، ويتعجب بشار من هذا التقلب وقد كان مُحّباً لصديقه ولم يذنب فى حقه ولم يبد فى أخلاقه ما يُسئ إليه ، ولذلك يكثر بشار من الاستفهام الإنكارى الذى يكشف عن فجيعته فى سلوك صديقه الذى يبدو أنه كان يشغل منصباً رفيعاً كما يبدو فى قوله (ألم أزين تاجك الذهبا ...) .

ويعاتب محمود الوراق صديقاً أذنب فى حقه فيقول : (٧٤)

أتَـــانِى عَنـــكَ مَـــا لَـــيسَ ... عَلَـــى مكروهِـــهِ صَـــبْرُ
فأغْضَـــيْتُ عَلَـــى عَمـــدِ ... وَقَـــد يُغْضِـــي الفَتَـــى الحُـــرُّ
وأدبتـــــك بـــــالهجرِ ... فَمـــا أدَّبَـــك الهجـــرُ
ولا ردَّك عمَّـــــا كَـــــا ... ن مِنْـــكَ الصَّـــفح والبـــرُ
فلمَّـــا اضـــطَّرنِي المَكْـــرو ... هـ ، وَاشـــتدَّ بِـــى الأَمـــرُ
تنَاولتُـــك مِـــن ســـرّى ... بِمَـــا لَـــيسَ بِـــهِ قَـــدرُ
فحركـــتُ جِنَـــاح الصَّبـــ ... ـــرِ لَمَّـــا مَســـك الضُّـــرُ
إذا لَـــمْ يُصْـــلِحْ الخيـــرُ ... امـــرأً أَصْـــلَحَهُ الشُّـــرُ

فالشاعر يعاتب صديقه عتاباً يدلُّ على جسامة الذنب وقد واجه ذلك بالتسامح والإغضاء عن الخطأ واكتفي بهجر صديقه ولكنه لم يرتدع ولم يشفع معه الصفح والبرّ حتى عيل صبر الشاعر فجزاه شراً بشر بعد أن أدرك أن الخير لم يجد معه نفعاً ولم يصلحه .

والطريف أن محمود الوراق نفسه كان موضوعاً للعتاب ، فقد عاتبه أبو نـواس واتهمـه بالجفـاء والمـلال والانقـلاب علـى صـداقته بعـد أن قـلَّ مالـه. فقال:(٧٥)

يَـــا مَـــن جَفَـــانِي ، ومَـــلا ، ... نَســـيْتَ أَهـــلا وَسَـــهْلا
ومـــات مرحـــب لمـــا ... رأيـــت مـــالى قـــلا

إنّـــى أظنـــك تحكـــي ، فِـــى مَـــا فَعَلـــتَ ، القِرلَّـــي
تلْقَـــاه فِـــى الشَّـــرِ يَنْـــأى ، وَفِـــى الرَّخَـــا يَتَـــدَلَّي

فأبو نواس يتهم صديقه محمود الوراق بأن صداقته ليست نزيهة أو مجردة بل هى صداقة نفعية ترتبط بالمصلحة المادية ، فإذا وجد رخاء ومالاً أقبل على صديقه وإذا لم يجد أعرض ونأى حتى إنه ليشبه صنيعه هذا بصنيع القرلّى الذى قيل إنه رجل كان مولى لحمير ، كان لا يتخلف عن طعام أحد ، ولا يسمع بأحد عنده شئ إلا داخله ، وإذا سمع بخصومه لم يمرّ بذلك الطريق ، فإن رأى خيراً تدلّى، وإن شرّاً تولّى حتى ضرب به المثل فى الطمع فى الخير وتجنب التعرض للشر.(٧٦)

ولأبي نواس قصيدة أخرى يعاتب فيها صديقاً له عتاباً رقيقاً، فيقول:(٧٧)

يا ابن الزبير ألم تسمع بِذَا العَجَبِ؟ لَمْ أَقْضِ مِنْـه ، وِلا مِن حُبِّـهِ أَرَبِـي
ذاكَ الَّذِى كُنتُ فِى نَفْسِي أَظنُ بِـه خَيْـراً ، وَأَرْفَعـه عـنْ سُـورةِ الكَـذبِ
أضحي تجنب حتى لست أعرفه، ومـا اكتسبت بحبـي جـزم مجتنـبِ
فقل له: ذهب الإحسان، يا سكني، هبني أسأت ، فأين العفو؟ يـا بِأَبي!
قـد كنـت أحسـبني أرقـي لمنزلـة لا يسـتهان بهـا فـى الجـد واللعـبِ
حتى أتَى منك ما قد كنت أحذره يـردى إلـى فـأرداني ونكـل بـي
حتى متَى يشمتُ الهجران حاسدنا؟ فـى كـل يـوم لنـا نـوع مـن الصـخبِ
أمـا تنزهنـا عـن ذا خلائقنـا ؟ أمـا كبرنـا عن الهجران والغضبِ ؟
والله لـولا الحَيـا مِمَـن يُفنـدنِي ، لَمَـا نَسَـبْتُك ذا علـم وذا أدبِ

فأبو نواس يرى فى هجران صديقه ضرباً من العجب والغرابة لما يحمله له من مودة ومحبة ، وبعد أن كان يتوسم فيه الخير والنبل والوفاء ويجلّه عن جدّة الكذب . ويبدو أن هذا الصديق قد أطال تجنبه وهجره حتى كاد أبو نواس ينسي ملامحه – وهو معنى لطيف – ويحاول أن يصل حبال المودة وعدم ترك المجال للحساد والشامتين وأن خلائقهما تنزههما عن الهجر والغضب .

ويتوجه أبو العتاهية بعتابه إلى صديق جفاه وهجره ، فيقول : (٧٨)

أَجَفَوْتَنِي فى من جفاني ... وجعلت شأنك غير شأني
ونَسَيْتَ منى موضعاً ... لك لم يكن لك فيه ثاني
وسُرِرْتَ يَومَاً وَاحداً ... أن لا أراك ولا تراني
وهَجرتَنِي وَقَطَعْتنِي ... وقليتني فى من قلاني
أفعلتها فالمستعان ... ان الله أفضل مستعان

إن أبا العتاهية يستهل عتابه باستفهام إنكارى يكشف عن تألمه وتحسره على جفاء صديقه الذى قطعه وهجره ونسي ما كان له من مودة وتكشف الأفعال المترادفة (هجرتني – قطعتني – قليتني – نسيت منى) عن مدى الألم والفجيعة التى أصابت أبا العتاهية فى صديقه ولم يجد ما يواجه به هذا الجفاء من ترك أمره إلى الله ليجاز به بما فعل .

أما العباس بن الأحنف ، فيرى أن العتاب لا يجدى ولا ينفع مع صديقه الذى خان عهد الصداقة ، وليس أمامه إلا أن يلوذ بالصبر . يقول : (٧٩)

وحَقِّكَ مَا تَرْكِى عِتَابَك عَنْ قِلىً ... وَلَكنْ لِعلْمِي أنه غير نافعِ
وأنَّى إذا لَم أَلْزمْ الصبرَ طَائعا ... فلابد منه مُكْرهَا غَير طائعِ
إذا أنْتَ لَمْ يَعْطفْكَ إلا شَفَاعةً ... فَلا خيرَ فِى ودٍّ يكون بِشافِعِ

ويردد العباس المعني نفسه فيقول : (٨٠)

كنَّا نُعَاتِبكم ليَالى عودكم ... حلو المذاقِ وَفِيكم مُستعتبُ
فَالآنَ إذ ظَهر التَّعتُّبِ مِنْكم ... ذَهَب العِتابُ فَلَيسَ عَنكمُ مَذْهبُ

ويلتفت إسماعيل بن يسار إلى معنى آخر فى عتابه ، فيجد أن وشائج القرابة تمنعه من إيذاء صديقه أو عتابه . يقول : (٨١)

وذى رحم يطالعني أذاه ... أقول له صراحاً غير خَتْلِ
فلولا أن فرْعَك حين تنمي ... وأصلك منتهي فرعي وأصلِي
وإنى إن رميت رميت عظمي ... ونالتني إذا نالَتْك نبلِي

لَقَــدْ أَنْكَرتَنِــي إِنْكَــارَ خَــوفٍ يَقُـيمُ حَشَـاكَ عَـن شَـتْمِي وَأَكْلِـي

أما مطيع بن إياس فيصدر عن رقة بالغة وأسلوب متحضر فى عتاب صديقه يحيي بن زياد ، ويعزو ما تعرضت له صداقتهما إلى سعي الوشاة ، فيقول : (٨٢)

كنــتُ ويَحيــي كيــدىْ واحــدٍ نَرمِــي جَميعــاً ونُرامــي معــا
إن عضــنى الــدهر فقــد عضــه يوجعنــا مــا بعضــنا أوجعــا
أو نــام نامــت أعــينٌ أربــعٌ منــا وأن أسْــهَر فَلَــنْ يَهْجَعَــا
حتَّــى إذا مَـا الشـيبُ فِـى مَفْرِقِـي لاحَ وفــى عَارضــه أَســرعاً
سَــعي وشــاةٌ فمَشــوا بَيننــا وكَــاد حبــلُ الــودِّ أن يقطعــا
فلــم ألــم يحيــي علــى فعلــه ولــم أقــل مــل ولا ضــيعاً

فالشاعر فى حديثه عن علاقته الراهنة بصديقه وما أصابها من جفوة يستحضر ماضي الصداقة (كنت ويحيي ...) ويشبه علاقة الصداقة تشبيها دالاً يدل على الامتزاج والتوحد ، فكان وصديقه يداً واحدة بل جسداً واحداً يتوحد فى الأحاسيس والمشاعر وتتحقق بينهما المشاركة الوجدانية ، فكلاهما يفرح لفرح صديقه ويحزن لحزنه ويألم لألمه وظلت هذه العلاقة الحميمة الوطيدة إلى أن سعي الوشاة فى التفريق بينهما ولكنهم لم يبلغوا مأربهم وظلت صداقتهما نموذجاً إنسانياً رفيعاً فى العطاء والتسامح حتى أن هذه العلاقة الإنسانية العميقة لم تسمح لصاحبها أن يلوم صديقه أو يعاتبه .

٢- الاعتذار :

الاعتذار غرض شعرى قديم وجدنا نماذج رائعة له فى اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر وقد ازدهر هذا الغرض فى الشعر العباسي نظراً لكثرة الروابط الاجتماعية وعلاقات الصداقة بين الأدباء ، والاعتذار يعكس حسَّاً حضارياً ويعكس الروح الطيبة والصفاء الذى يسود بين الأصدقاء ، فهو من الفضائل الخلقية النبيلة التى تدلُّ على الرقي والسمو والتحضر .

وتتنوع أسباب الاعتذار ، فقد يعتذر الصديق لصديقه عن خطأ ارتكبه فى حقه أو هفوة أو زلّة لسان ، وقد يعتذر عن عدم تمكنه من لقائه ، أو عن وشاية سعي بها الواشون وغير ذلك .

ويعدُّ الاعتذار من المضامين التى تناولها شعر الصداقة فى القرن الثاني الهجرى ، نظراً لتشعب العلاقات بين الشعراء وتعرضها لبعض العوارض السلبية ، فمن ذلك ما خاطب به بشار صديقاً له يعتذر عن التخلف عن لقائه لسفره فى بلد بعيد . وفى ذلك يقول : (٨٣)

أَخِى أنتَ النَّصيحُ فَلا تَلُمْنِي ... فَمَا دُونِي مِن النُّصحَاءِ نَابُ
ولكن غبتُ فى بلدٍ بعيدٍ ... وبعدَ الحمدِ مَا كان الإيابُ
فلمَّا جئتُ رَوعنِي غَريم ... يُحاولُ مَا كَرِهتُ وَلا يهابُ
أَخَاف غدوه يمشي بصكٍ ... كحرِ النَّارِ لَيْسَ لَه انقلابُ
فرغت وأنتَ من همّي وَبَالِى ... ومَا كُلُّ الرَّواغِ لَهُ عقابُ
فلا تعجلْ بلوم أخ تمطى ... عليه الخوف والزمن المجابُ
وكنتَ تَزُورنِي دَهراً طَويلاً ... وَلا سَتر عَلى ولا حِجابُ
فهذا خبئتي ودخيل أمرى ... كما أحببت ليس له معابُ
سوى شوق أظل أظل منه ... على طرب وأضعفه الكتابُ

فبشار يتوجه بالخطاب إلى صديقه فيناديه بـ (أخى) لما ينطوى عليه معنى الإخاء من سمو ونبل ، ويصف صديقه بالحكمة والقدرة على النصح ويرجوه ألا ينحي عليه باللائمة ويعتذر لصديقه بسبب غيابه فى بلد بعيد مما حال دون لقائه ويخبره بأن غريماً ترصده بعد عودته فراغ منه وحاد عن مسلكه ، ويؤكد له أنه يشغل باله وفكره ويخلص له الود ويرجوه ألا يلومه وأن يقبل عذره وأن يواصله بالزيارة كما كان من قبل.

ويمزج أبو العتاهية اعتذاره بالعتاب ، فيقول : (٨٤)

لله أنت على جفائِكْ ... مَاذا أُومِلُ مِن وَفائِكْ

إنّـــى عَلـــى مَـــا كَـــان مِنْـــكَ لواثـــــقٌ بجميـــــلِ رأيـــــكْ
فكـــــرتُ فِـــــيمَ جَفَـــــوْتِني فَوجَـــدتُ ذَاك لِطـــولِ نأيـــكْ
فَرأيْـــتُ أَنْ أَسْـــعَي إليْـــكَ وَأَنْ أُبَـــادِرَ فِـــى لقائـــكْ
حتـــى أجـــد بمـــا تغيـــر لـــى وأخلـــق مـــن إخائـــكْ

فأبو العتاهية يتعجب من جفاء صديقه وخروجه عن سنن الوفاء الذى تقتضيه الصداقة والأخوة ، ولكنه برغم ذلك يعبر عن ثقته فيه وفى جميل رأيه ، وقد رأى أن جفاء صديقه جاء نتيجة للبعد فرأى أن يبادر هو إلى لقائه ليستعيد ما انقطع من حبل الوداد .

أما مطيع بن إياس فيرتقي فى اعتذاره إلى ذروة السمو الأخلاقي وسماحة النفس، فلا يلوم صديقه الذى همَّ بهجره بل يرى أنه هو الملوم ويتوجه إليه باعتذار رقيق، فيقول : (٨٥)

إنْ تَصـلْنِي فَمِثْلُـكَ اليـوم يُرجَـي عَفْوهُ الـذنبَ عَن أَخِيـهِ وَوَصْـلُهْ
ولَـئِن كُنـتَ قَـدْ هَمِـتَ بِهَجْـرِى للـذى قَـدْ فَعَلـتُ : إنّـى لأهلُـهْ
وأحـقُّ الرجـالِ أِنْ يَغفـرَ الذنـــ ـــبَ لِإخوانِـــهِ المُـــوَفرُ عقلُـــهْ
الكـريمُ الـذِى لَـه الحَسـبُ الثَـا قِبُ فِـى قَومِـهِ وَمَنْ طَابَ أَصْلُهْ
ولـــئن كنـــت لا تصـــاحب إلا صـاحباً لا تـزل مـا عـاش نعلُـهْ
لا تجـــدد وإن جهـــدت وأنـــي بالـــذى لا يكـــاد يوجـــد مثلُـــهْ
إنمـا صـاحبي الـذى يغفـر الذنـ ـــب ويكفيـــه مـــن أخيـــه أقلُـــهْ
الَّـذِى يَحْفَـظُ القَـدِيمَ مِـنَ العَهْـ ـــدِ وَإِنْ زَلَّ صَـاحِبٌ قَـلَّ عَذلُـهْ
ورَعـي مَـا مَضـي مِـن العَهْـدِ مِنْـه حِـينَ يُـؤدِى مِـن الجَهَالـةِ جَهلُـهْ
لـيس مـن يظهـر المـودة إفكًـا وإذا قـال خـالف القـول فعلُـهْ
وصـله للصـديق يـوم فـإن طـا ل فيومـــان ثـــم ينبـــت حبلُـــهْ

فمطيع ينفي اللوم والخطأ والتقصير عن صديقه تأكيداً لمعنى الصداقة الحقيقية ، وينسب الخطأ إلى نفسه ، ويرى أنه يستحق هجر صديقه ويمزج

اعتذاره بالحكمة البليغة فيرى أن أحق الرجال بالصفح والعفو ذو العقل والحكمة والحسب الكريم ويصدر عن رؤية واقعية فى الصداقة فيرى أن الصاحب أو الصديق مُعرَّض للزلل والخطأ وأن الصديق الحق هو من يغفر الذنب ويحفظ عهد الصداقة وألا يكثر لوم صديقه أو عزله إن أخطأ فى حقه ، بل يرعى عهد الصداقة ويصدق قوله فعله فلا يكون مرائياً أو منافقا سرعان ما ينقلب على صديقه ، وبذلك جعل مطيع بن إياس اعتذاره معرضاً للحكمة والرؤية المثالية للصداقة .

٣- الهجاء :

يعكس شعر الهجاء الجانب السلبي فى الصداقة وتحولها من المودة والصفاء إلى الخصام والكراهية ، لما قد يجده الصديق فى صديقه من عيوب جوهرية وصفات ذميمة فى شخصيته .

ونلاحظ أن هذا اللون من الشعر قد راج فى أوساط الشعراء المولدين وصوَّر ما نشأ بينهم من عداوات وأحقاد ، وانقلاب الصداقة إلى معاداة .

وقد حظي حماد عجرد بالنصيب الأكبر من الهجاء ، لاسيما ما هجاه به بشار ومطيع بن إياس الذى هجاه بقوله : (٨٦)

إن حمـــــــاداً لئـــــــيمُ ســـــفلةُ الأصـــــلِ عـــــديمُ

لا تَـــــــراه الـــــــدهرَ إلا بهـــــن العيـــــر يهـــــيمُ

فمعاني الهجاء هنا تدور حول اللؤم والخسة وضعة الأصل وتنزلق إلى الفحش والإقذاع .

ويبدو أن مطيع بن إياس كان يستثقل حماد عجرد وينبذ سلوكه ، ولم يرض عن هجائه لأصدقائه ، فقال يردَّ عليه : (٨٧)

أيُّهـــــا الشـــــاعرُ الَّـــــذى عَـــــابَ يحيـــــي ومُنقـــــذا

أنـــــت لـــــو كنـــــت شـــــاعراً لـــــم تقـــــل فيهمـــــا كـــــذا

لســـــــت والله فـــــــاعلمن لـــــــدى النقـــــــد جهبـــــــذا

تعـــدل الصـــبر بالرضـــي شـــائب الصـــفو بالقـــذى

فمطيع يحمل على حماد عجرد لانتقاده صديقيه يحيي بن زياد ومنقذ ويتهمه بتنكب طريق العدل والإنصاف فى أحكامه عليهما والإساءة إلى الصداقة .

وكان مطيع بن إياس يستثقل كذلك حماد الراوية ويهرب من لقائه ، فقد كتب إلى مطيع بن إياس : (٨٨)

هَلْ لِذى حاجةٍ إليكَ سبيلُ لا يطيل الجلوس فيمن يطيلُ

فلما قرأ البيت كتب إليه :

أنت يا صاحب الكتابِ ثقيلٌ وكثيرٌ مِن الثقيلِ القليلُ

وكانت صفة (الثقل) كفيلة بتنفير مطيع بن إياس من أصدقائه ، فنجده يهجو صديقاً يُدعي عباساً فيقول : (٨٩)

قُلْ لِعباس أَخينَا يَا ثَقيلَ الثُقلاءِ

أنت فِى الصيفِ سموم وجليد فى الشتاءِ

أنت فى الأرضِ ثقيلٌ وثقيلٌ فى السماءِ

فمطيع يصف هذا الصديق بأنه (أثقل الثقلاء) ويشبهه برياح السَّموم حين تهب صيفاً ، وبالثلج شتاء ، ويحمل عليه مركزاً على تلك الصفة ، فيراه ثقيلاً فى الأرض وفى السماء .

أما بشار بن برد فكان شديد العداوة لمن ينقلب عليه من أصدقائه ، وقد حمل على حماد عجرد وأقذع فى هجائه مما نعفُّ عن ذكره ، ولعل أخفَّ هجائه فيه قوله : (٩٠)

يا طالبَ الحَاجاتِ لا تَعْصِنِي واسْمَعْ فَإنِي نَاصِحٌ هَادِ

دَعْ عَنْكَ حَمَّادَ وخلقانه لا خيرَ فِى خلقان حَمَّادِ

المؤثرُ الرأس على ربّه والجاعلُ الخنزيرَ فى الزاءِ

طراد ولدان إذا ما غدا ما كل لوطىّ بطرادِ

برئت مِن هذا ومن دينه يصبحُ للخشفِ بمرصادِ

فبشار يشير إلى (حماد عجرد) صراحة ويقول إنه لا خير فيه وجمع فى البيت الثاني هجاء حماد تصريحاً وكناية ، لأن قوله (لا خير فى خلقانه) معناه أن ثيابه الرثة لا تحتوى على خير أى أنه لا خير فيه . ثم هجاه بالزندقة وأنه مجوسي حيث شاع بين عامة الناس أن المجوس يعبدون رأساً ولعلهم كانوا يصورون رأس بعض أئمة عقيدتهم مثل زار دشت وماني ، ولا يكتفي برميه بالزندقة بل يتهمه باللواط ، ويتبرأ من صداقته .

كما حمل بشار على (يحيي بن زياد) صديق مطيع بن إياس ، فهجاه قائلاً : (٩١)

أ " يحيي بن زيد " فيم تقطعْ خِلتي لقْد خُنْتُ وِداً بَلْ تَجشمت معجبَا
أحين أشارتْ بي الأكفُّ معيدةً وحفتْ بى الحمراءُ خرقا معصبَا
وقامت " عقيل " من ورائي بالفنا حفاظا وعاقدت الهمام للمحجبَا
تنَح أبَا فعل لأنك حاجة إلينا ولا تشغب فما كنت مشغبَا
أبُوك يَهُودى وأمُك علجة وأشبهت خنزيرَ الوادِ المسيبَا
وكنتَ تَرى حَربي كحربِ خرائد فواقاً فلمَّا رُحْن واجعن ملعبَا
وهيهات ظَنَّ الجَاهِلين مِن امرىء بعيد الرضي سقم على من تحزبَا
أبي اللهُ ودى للخليل وقربه إذا كان خوان الأمانة نيربَا

فخطاب بشار ليحيي بن زيد يوحي بأن صداقة انعقدت بينهما ولكن يحيي انقلب على صديقه (فيم تقطع خلتي؟) ويتهمه بخيانة الصداقة وأنه أتى أمراً نُكراً وتجشّم سلوكاً يحمل على العجب منه . ويعلل بشار هذا الصنيع من يحيي بما أصابه من غيره لشهرة بشار وإقبال الناس عليه كما عبَّر عن ذلك من خلال التعبير الكنائي (وحفّت بى الحمراء خرقاً معصبا) وأراد بالحمراء قومه من العجم ، ويحمل بشار على (يحيي) فيرميه فى أصله ويتهمه بأن أباه يهودى وأمه أعجمية ويشبهه بالخنزير ويشبه معاداة يحيي له بحرب الخرائد أو

النساء بما تنطوى عليه من مناوشة ومضاربة وملاعبه ويتهمه بخيانة الأمانة والسعي بالنميمة (نيربا) ويتبرأ من صداقته .

أما أبو نواس فيتسم هجاؤه لأصدقائه بخفة الروح والظرف والدعابة ، فمن ذلك قوله : (٩٢)

رَغِيفُ سَعِيد عِنده عِدْلُ نفسهِ ... يُقلّبهُ طَورًا ، وَطورًا يُلاعِبُهْ

ويخرِجُه من كمه ، فيشمه ، ... ويجلسه فى حجره ويخاطبُهْ

وإن جَاءه المسكينُ يطلب فضله، ... فقد ثكلته أمه وأقاربُهْ

يكرُّ علَيْهِ السُّوطُ من كل جانبٍ، ... وتَكسر رجلاه ، وينتف شاربُهْ

فمقام الهجاء هنا هو بخل المهجو ، ولكن أبا نواس يحول هذا المقام إلى تندُّر وسخرية ودعابة ، ويبالغ فى وصف حرص صاحبه على الرغيف وتدليله له وملاعبته كالطفل وإخراجه من كُمّه وإجلاسه فى حجره ويكون الروع والتعذيب عقوبة من يقترب منه .

وقد جمعت الصداقة بين أبي نواس وأبان بن عبد الحميد اللاحقي ، ولكنها انقلبت إلى عداوة ، فأراد أبو نواس أن ينال منه ، فهجاه بالزندقة وهى تهمة كانت تكلف صاحبها حياته آنذاك ، فقال : (٩٣)

جالستُ يومًا أبانا ؛ ... لا دَّر درُّ أبانِ

ونحن حضر رواق الـ - أمير بالنهروانِ

حتَّى إذا مَا صلاة الـ - ـأولي دنت لأوانِ

فقام منذر ربي ... بالبر والإحسانِ

يدعو الأنام لها ذا ... فصاحة وبيانِ

وكلما قال قلنا ... إلى انقضاء الأذانِ

فقال : كيف شهدتم ... بذا بغير عيانِ ؟!

لا أشهدُ ، الدهرَ ، حتَّى ... تعاين العينانِ

فقلتُ : سبحان ربي ، ... فقال : سبحان ماني

فقلتُ : عيسي رسول ، فقال : من شيطانِ
فقلتُ : موسي نجى الـ - ـمهيمن المنانِ
فقالَ : ربك ذو مقـ - ـلة ، إذن ، ولسانِ
أنفسه خلقته ؟ أم من ؟! فقمت مكاني
وقلت : ربي ذو رحـ - ـمة ، وذو غفرانِ
وقمت أسحب ذيلي ، عن هازل بالقرانِ
عن كافر يتمرى بالكفر بالرحمنِ
يريد أن يتساوى بالعصبة المجانِ
بعجردِ وعبادِ والبي الهجانِ
وابن الإياس الذى نا - ح نخلتي حلوانِ
وابن الخليع على ريحانة النددمانِ
إنى وأنت لزانِش من زنية وزوانِ

القصيدة تمتاز ببنيتها الحوارية التى تكشف عن وجود فجوة فكرية بين أبي نواس وأبان ، وتشهد إلحاحاً من أبي نواس على اتهام أبان بالزندقة والكفر وهى أبشع تهمة تنال منه، وإن كانت القصيدة تنطوى على مفارقة ، فمن يوجه الاتهام بالزندقة والكفر ويدافع عن عصبة المجان، كان هو وعصابته ممن تعرضوا للتهمة ذاتها، واتهموا بالفسوق والمجون .

٤- الرثاء :

يعبر شعر رثاء الأصدقاء عن الوفاء ويعكس الإحساس بالفجيعة لفقد الصديق بما كان يمثله من أهمية وقيمة فى حياة صديقه ، إذ يحسُّ أنه – بفقده – فقد الأنس والبهجة ولذلك يبكيه بدموع حارة ويتذكر مآثره ويترحم على أواصر المودة والإخاء .

ومما يمثل هذا الضرب من الرثاء ما نظمه أبو نواس حين بلغة موت صديقه والبة بن الحباب وهو يومئذ بالبصرة ، فقال " اليوم مات الظرف والأدب " ثم قال يرثيه : (٩٤)

فاضتْ دموعُك ساكبةْ، جزعًا لمصرعِ والبهْ
قامت بموت أبي أسا - مة ، في الرفاق ، النادبةْ
قامت تنث من المكا - رم غير قيل الكاذبةْ
فُجِعَت بنو أسد به ، وبنو نزار قاطبةْ
بلسانها ، وزعيمها عند الأمور الحازبةْ
لا تبعدن ، أبا أسا - مة ، فالمنية واجبةْ
كل أمرئ تغتاله منها سهام صائبةْ
كتب الفناء على العبا - د ، فكل نفس ذاهبةْ
كمْ مِن أخٍ لَك قَد تَرَكـ - ـت همومه بِك ناصبةْ
قد كان يعظم قبل مو - تك أن تنوبك نائبةْ

فأبو نواس يعبر عن جزعه وحزنه لفقد والبه وينعي فيه المكارم والحزم ورجاحة الرأى وزعامته لبني أسد ، ويتكئ على الحقائق الإيمانية – فى مقام التأس والتجلد .

فالموت حق واجب على المرء ، والفناء مقدر على العباد ، و (كل نفس ذاهبة) فى إحالة إلى الآية الكريمة (كل نفس ذائقة الموت) ، ويصف ما أصاب أصدقاء والبة بفقده وما تمثله وفاته من فجيعة .

ونجد أبا العتاهية يتذكر الموتى من أصحابه فيقول : (٩٥)

أخ طَالَما سَرَّني ذِكْره فَقَدْ صِرتُ أَشجي لَدى ذِكرهِ
وقد كنتُ أغدو إلى قصره فقد صرت أغدو إلى قَبرهِ
وكنتُ أراني غنيا به عن الناس لو مد فى عُمرهِ
وكنتُ متى جئت فى حاجة فأمرى يجوز على أَمرهِ

فتى لم يخل الندى ساعة ... على يسره كان أو عُسرهِ
تظلُ نهارك فِي خيره ... وتأمن ليلك من شَرهِ
فصَار عليا إلى ربه ... وكان عليا فتي دهرهِ
أتته المنيةُ مغتالة ... رويداً تختل من سترهِ

فأبو العتاهية يرثي صديقاً مخلصاً طالما سرَّه ذكره وهو حيّ ولكنه بموته صار يشجي بذكره ويتحسر على فراقه . ويبدو أن صديقه هذا كان من الوجهاء إذ أشار إلى أنه كثيراً ما كان يقصده فيبلغ حاجته وينهل من خيره . ولذلك يشيد بمآثره لاسيما ما اشتهر به من كرم فى حالتي يُسره وعُسره وما عُرف عنه من خير حتى اغتاله الموت ففقد به العضد والسند والأمن .

وقد بكي مطيع بن إياس صديقه يحيي بن زياد بكاء حاراً ، ورثاه بغير قصيدة عبَّر فيها عن فجيعته بفقده ، فقال فى إحدى مراثيه : (٩٦)

يا أهل بَكُّوا لِقلبيَ القرحِ ... وللدموعِ الهوامِلِ السَّفُحِ
راحُوا بيحيي إلى مغيبة ... فِى القبرِ بين الترابِ والصفحِ
راحُوا بيحيي ولَو تُطاوِعني الـ ... أقدارُ لَمْ يبتكرْ لم يَرحِ
يا خير من يُحسن البكاءَ له الـ ... ـيوم ومَن كانَ أمس للمَدحِ
قَدْ ظَفرَ الحُزنُ بِالسرورِ وَقَدْ ... أَديل مكروهنا مَن الفرحِ

ونستطيع أن ندرك ما أصاب مطيع بن إياس من حزن وألم لفقد صديقه من وصف قلبه بـ (الفرح) وبما ذرفه من دموع غزيرة ويصف كيف حملوا صديقه إلى قبره وكيف تبدَّلت الحياة بموته من السرور إلى الحزن .

ويخاطب مطيع النادبة لتعطي ضريح صديقه حقه من النواح والبكاء ، فيقول : (٩٧)

قُلتُ لحنانةِ دلوحِ ... تسمح من دابل سموحِ
أمي الضريح الذى أسمي ... ثم استهلي على الضريحِ
لَيسَ مِنَ العَدلِ أَن تَشحي ... عَلى فَتي لَيس بالشحيحِ

ويتفجع مطيع على صديقه مرة أخرى ويتعجب من مفاجأة الموت له ويرى أنه بوفاته يهون كل شئ ويخف كل رزء ويقول : (٩٨)

انظُرْ إلى الموتِ كَيفَ بَادهِه ... والموتُ مقدامه عَلَى البهمِ

لَو قَد تَدبَّرت مَا صَنَعتْ بِه ... قَرعت سنا عليه من ندمِ

فاذهبْ بِمن شِئت إذْ ذهبت به ... مَا بعدَ يحيي للرزءِ من آلمِ

وفى مقطعة مؤثرة يصف مطيع بن إياس حاله بعد فقد صديقه وكيف صار وحيداً بلا صديق وقد شمتت فيه الأعادى ، وأصابه الأرق ، ويتذكر كيف وسدّه التراب بيده ، ويدعو له بالسقيا ، فيقول : (٩٩)

قَدْ مَضَي يحيي وغودرت فرداً ... نَصب ما سر عيون الأعادِى

وأرى عيني مذ غاب يحيي ... بدلت من نومها بالسهادِ

وسدته الكف منى تراباً ... ولَقد أرثَي له مَن وسادِ

بين جيران أقاموا صموتا ... لا يحيرون جوابَ المنادِى

أيها المزن الَّذى جادَ حتَّى ... أعشبتْ منه متون البوادِى

إسقِ قبراً فيه يحيي فَإنِّي ... لَك بِالشكر مواف مغادِ

إن رثاء مطيع لصديقه يعكس تقديره لقيمة الصداقة ويُعدَّ نموذجاً للحس الإنساني الصادق وتعبيراً عن عاطفة الأخوة بما تنطوى عليه من مودة وإخلاص ووفاء .

٥- الظرف واللهو ومجالس الأنس:

صوَّر الشعر جوانب اللهو والأنس فى حياة الشعراء الذين انعقدت بينهم صداقات لاسيما عصبة المجان: مطيع بن إياس وحماد عجرد وحسين الخليع وغيرهم ، ممن اشتهروا بالمجون فى القرن الثاني الهجرى.

وقد وصف هؤلاء الشعراء ما كان يدور فى مجالهم من قصف وغناء وشراب، فمن ذلك ما نظمه مطيع بن إياس يستدعي صديقاً له إلى مجلس لهو: (١٠٠)

نعـــــم لنـــــا نبيـــــذٌ وعنـــــدنا حمَّـــــادُ

وخَيرنُـــــــا كثَيـــــرٌ والخيـــــرُ مُســـــتزادُ

وكُلُنـــا مِـــن طـــربٍ يَطيـــــرُ أَو يَكـــــادُ

وعِنـــــدنا وادينـــــا وَهـــــو لَنـــــا عمـــــادُ

ولهونـــــا لذيـــــذ لَـــــم يلهـــــه العبـــــادُ

فالأبيات تعكس حياة اللهو التى عاشها مطيع وأصدقاؤه بما شاع فيها من طرب ونبيذ وتنزه فى الطبيعة ولهو .

ويرسم مطيع صوراً لما كان يدور بينه وبين أصدقائه من عبث ومجون، فيخاطب حماد عجرد متماجناً فيقول : (١٠١)

وار الســـــوءة الســـــوآ ء يـــا حمـــاد عـــن خشّـــهْ

عـــن الأترجـــة الغضـــ ـــة والتفاحـــة الهشّـــهْ

ورأى مطيع وحماد ويحيي بن زياد وابنه دهقان ، فقالوا : (١٠٢)

مطيـــع: ألا بِـــأبي وأمـــي نـــا ظـــر مـــن بيـــنهم نحـــوى

حمـــاد: ألا يـــا ليـــت فـــوق الحـــق و منهـــا لاصـــقا حقـــوى

مُطيـــعٌ: وأن البضْـــعَ يـــا حمـــا د منهـــا ثوبـــك المـــروى

يحيـــي: ويـــا ســـقيا لســـطح أشـــ ـــرفت مـــن بيـــنهم حـــذوى

ويصف مطيع بن إياس مجلس أنس ومجون ليلة عيد الأضحي ويردد أسماء المغنين والأصدقاء الندامي ، فيقول : (١٠٣)

قـــد شـــربنا ليلـــة الأضـــ ـــحي وســـاقينا يزيـــدُ

عنـــدنا الفهمـــي مســـرو ر وزمـــار مجيـــدُ

وســـليمان فتانـــا فهـــو يبـــدى ويعيـــدُ

ومعـــاذ وعيـــاذ وعميـــر وســـعيدُ

ونـــدامي كلهـــم يقـــ ـــلز ، والقلـــز شـــديدُ

بعضُـــهم ريحـــان بعـــض ... فهـــم مســـك وعـــودُ
غَابَـــت الأنحـــس عـــنهم ... وتلقـــتهم ســـعودُ
فتَـــرى القـــوى جلوســـا ... والخنـــا عـــنهم بَعيـــدُ
ومُطيـــعٌ بـــن إيـــاس ... فهـــو بالقصـــف وليـــدُ
وعَلـــى كـــر الجديديـــ ... ـــن ومَـــا حـــلَّ جليـــدُ

فمطيع يصور الحياة اللاهية بما شاع فيها من مجون وفسق وتغافل عن مشاغل الدنيا ، ويعكس نوعاً من الصداقة التى جمعت بين عصبة المجان من الشعراء .

وقد انجذب مطيع بن إياس إلى هذا النوع من الأصدقاء ولم يكن يطيق فراقهم أو غيابهم عنه ، ويحس بافتقادهم إذا غابوا فتحاصره الوحدة ويكاد الحزن يقضي عليه . وقد عبر عن ذلك حين غاب عنه أصدقاؤه فى مجلس شرب بدير كعب ، فقال : (١٠٤)

طربـة مـا طربـت فـى ديـر كعـب ... كدت أقضي من طربتي فيه نَحْبي
وتَـــذكرتُ إِخْـــوتِي وَنـــداما ... ى فَهـاجَ البُكـاءُ تَـذكار صـحبي
حين غابوا شتي وأصبحت فرداً ... ونـأوا بَـين شـرقِ أرض وغَـرْبِ
وهـم مـا هـم فحسـبي لا أبَـ ... ـغِي بـديلا بهـم لعمـرك حَسْـبِي
طلحـة الخيـر مـنهم وأبـو المنـ ... ـذر خلـي ومالـك ذاك تربِـي
أيُّهـا الـداخلُ الثقيـلُ عَلَيْنَـا ... حِينَ طَابَ الحَديثُ لِـى وَلِصَحْبِي
خِـفَّ عَنَّـا فأنـتَ أثقـلُ واللَّـ ... ـه علينـا مـن فرسـخي دير كعبِ
ومـن النـاس مـن يخـف ومـنهم ... كرحـي البـزر ركبـت فـوق قلبِـي

فالأبيات تصور الإحساس بفقد الأصدقاء فقد غابوا وتفرقوا بين الشرق والغرب ووجد مطيع بن إياس نفسه وحيداً بلا صاحب ، فأخذ يتذكرهم باكياً ويردد أسماءهم : طلحة وأبا المنذر ومالكاً ، ولم يستطع أن يتكيف مع غيرهم فى مجلس الشراب بل رآهم من الثقلاء الذين يمقتهم ولا يأنس لهم .

٦- التهذيب :

فى شعر الصداقة جانب تهذيبي أخلاقي يُعلي من قيمة الصداقة ويحدد معالمها ويوضح السلوك الذي يجب اتباعه والالتزام به مع الأصدقاء ، وكيفية معاملة الصديق وكيفية اختياره والتحذير من أدعياء الصداقة إلى غير ذلك من معان أخلاقية .

فأبو العتاهية – مثلاً – يدعو إلى الرفق فى المعاملة ولقاء الناس بوجه طلق بشوش ، ويرى ذلك مدعاة للإكثار من الأصدقاء . يقول : (١٠٥)

عَامِلِ النَاسَ بِرأيٍ رفيقٍ والقَ مَن تَلقَي بِوجهٍ طَليقِ

فَإذا أنتَ جَميلُ الثَّناءِ وَإذَا أنت كَثيرُ الصديقِ

ويدعو أبو العتاهية إلى مراعاة الصداقة والحفاظ على الأصدقاء لأنهم زينة الحياة ، يقول : (١٠٦)

واحْفظْ أخَاكَ لَمَّا رَجَاكَ لَه وإذَا دَعَاكَ فَكُنْ لَه عَضدا

وارفعْ نَواظره وكُن سنداً فلقد يكون أخو الرضا سَندا

وتعَاهد الإخوان إنَّهم زين المغيبِ وزين من شَهدا

ويدعو بشار إلى التسامح مع الصديق والتغاضي عن هفواته، فيقول:(١٠٧)

سَامِحْ أَخَاك إذا غَدوت لِحاجةٍ واتْركْ مَساخِطه إلى إعْتابِهِ

فَلَقَدْ أُسوى لِلضَغَائِنِ مِثلها وَأَصي البَغِيضَ وَلَستُ بِالهيّابِةِ

وفى شعر صالح بن عبد القدوس قيم أخلاقية فى الصداقة ، فنجده يدعو إلى بذل الود خالصاً للصديق ومعاملته بصفاء وبشر ، فذلك يجعل الصديق يبادله ودّاً بودٍّ وصفاءً بصفاء . يقول : (١٠٨)

وصافِ إذا صِافَيت بِالودِّ خَالصًا تجد مثل ما أَخلصتْ عنْدَ ذَوى الودِّ

ولاقِ بِبشرِ مَنْ لَقَيتَ تَكُنْ لَه صَدِيقًا وَإنْ أَمسي مُصراً عَلى حِقْدِ

ويؤكد صالح بن عبد القدوس المعني نفسه وينصح بعدم الإكثار من عتاب الأصدقاء حتى لا ينصرفوا عنه ، يقول : (١٠٩)

خُـذْ مِـنْ صَـدِيْقِك مَـا صَـفَا لَـك لا تَكُـنْ جَـمَّ المَعايـبِ

إنَّ الكَثيـرَ عِتَابـه الـ إخـوان لـيس بصـاحبِ

وينصح محمود الوراق بألا يهجر الصديق صديقه بغير ذنب ، لأن الهجر يؤدى إلى القطيعة والنسيان ، ويرى فى كتمان السر قيمة من قيم الصداقة وفضيلة من فضائلها ، يقول : (١١٠)

فـلا تَهجـرْ أَخَـاكَ بِغيـرِ ذَنـبٍ فَـإنَّ الهجـرَ مفتـاحُ السـلوِ

إذا كـتمَ الصـديقُ أخَـاه سِـراً فَمَـا فَضلُ الصَديقِ عَلـى العَدوِ

ويحذر الوراق من أن يحسد الصديق صديقه لأن ذلك يشين الصداقة ويقطع المودة . يقول (١١١)

لا تَحْسِـدَنَّ أَخَـاكَ وار ع لَـه عَلَـى الأيـامِ عَهـدَهْ

حَسـدُ الصـديقِ صـديقَه وأخَـاه مَـن سـقمِ المـودَّةْ

ويستخلص بشار من تجاربه الواقعية ما يوضح آداب الصداقة ، فينصح بمواصلة الصديق على ألا يكثر من زيارته حتى لا يسأم أو يعترب الملل من صديقه . يقول (١١٢)

لا تجعلـن أحـداً عليـك إذا أحببتـه وهويتـه ربَّـا

وصـلُ الخليـلُ إذا شـغفت بـه واطـوِ الزيـارةَ دُونـه غبَّـا

فلـذاك خيـرٌ مِـن مُواصـلة ليسـت تزيـدك عنـده قربَّـا

لكـن يمـل ثـم تـدعو باسـمه فيقـول هـاه وطالمـا لبَـي (١١٣)

وينصح بشار بألا يكلف الصديق صديقه ما يرهقه أو يتعبه، فيقول:(١١٤)

خُـذْ مِـن صَـديقِك غَيـر متعبـه إن الجـوادَ يـؤوده تعبـه

ويرى صالح بن عبد القدوس أنه لا أحد جدير بالحفاظ على السّرّ سوى الصديق، كما يرى أن الصديق الحق من لا تتغير مودته بتغير الزمن وتقلباته، يقول: (١١٥)

لا تـُفـش سِـراً إلى غَيرِ الصَديقِ وَلا الـ خَرقِ المشيعِ به يومًا إذا غَضبا

شَـر الأخَّـلاء مَـن كَانَـتْ مودتـه مَع الزمانِ إذا مَا خَافَ أو رَغِبَا

ويفتخر صالح بن عبد القدوس بحسن معاملته الصديق ، فلا يؤذيه بالقول أو الفعل، ولكنه فى الوقت نفسه لا يقبل صداقة المنافق ذى الوجهين: يقول: (١١٦)

لا أسمع ، الدهرَ، جَليسي الأذَى إنَّ لِسَانِي عَن جَلِيسي كليلُ

إنَّ خَليلي واحد وجهه وَلَيْسَ ذو الوَجْهَين لِى بِالخليلِ

ويرى محمود الوراق أن من الأصدقاء من يسئ إلى صديقه بالقول ويؤذيه بلسانه ويشعل النيران فى قلبه ويبرر ذلك بالمزاح الذى يصفه الوراق بالسباب الأكبر، يقول : (١١٧)

تَلقَي الفَتَي يَلقَي أَخاه وَخِدْنَه فِى لحن منطقه بِما لا يغفرُ

ويقول : كنت ممازحا وملاعبا هيهات نارك فى الحشا تتسعرُ

ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا عما به وفؤاده يتفطرُ

أو ما علمت – ومثل جهلك غالب – إن المزاح هو السباب الأكبرُ

وحذّر الشعراء من صديق السوء ودعوا إلى مقاطعته أو مداراته وحثوا على اختيار الصيق الحُرّ الذى يتصف بالكرم والصدق ويرعى الصداقة، ودعوا إلى حسن معاملته، وفى هذه المعاني يقول صالح بن عبد القدوس: (١١٨)

تَجَنَّبَ صَديقَ السُّوءِ واصْرم حِبالَه وَإِنْ لَمْ تَجدْ عَنْه مَحِيصًا فَدارِهِ

وصادق إذا صادقت حراً أو امرأ كريما من الفتيان يرعي لجارِهِ

وأَحْببْ حَبيبَ الصدقِ واحْذرَ مراءه تَنل منه صَفو الودِّ مَا لَم تمارِهِ

وأكثر الشعراء من التحذير من مصاحبه الأحمق، فقال أبو العتاهية:(١١٩)

احذرْ الأحمقَ واحذرْ ودَّه ... إنّما الأحمقُ كالثوبِ الخَلَقْ

كلمَّا رقعتَه من جانبٍ ... زَعزعتْه الريحُ يوماً فانخرقْ

أو كصدعٍ فى زجاجٍ فَاحشٍ ... هل ترى صدع زجاجٍ يلتصقْ

فَإذا عَاتبتُه كي يَرعَوى ... زاد شرًا وتَمادَى فِى الحُمقْ

فأبو العتاهية وهو يحذر من مصاحبة الأحمق ، يشبهه بالثوب البالي الذى لا تصلح معه الرقع وسرعان ما يتمزق ، كما يشبهه بالكسر الفادح فى الزجاج فلا يمكن جبره أو إصلاحه ، ومثل هذا الصديق الأحمق لا يستجيب للعتاب أو النصح بل يتمادى فى حمقه وشروره ويسبب الأذى لصديقه ويحذر صالح بن عبد القدوس من مصاحبة الأحمق فيقول : (١٢٠)

المرءُ يجمعُ والزمانُ يفرّقُ ... ويظلُّ يرقع والخطوبُ تُمزِّقُ

وَلئِن يُعَادِى عَاقلاً خَيرٌ لَه ... مِن أنْ يكونَ له صديق أحمقُ

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا ... إن الصديق على الصديق مصدقُ

وإذا حملت إلى سفيه حكمة ... فلقد حملت بضاعة لا تنفقُ

فالشاعر يرى أن العدو العاقل خير من صديق أحمق ولذلك ينصح باجتنابه لأن الصديق على شاكلة صديقه .

ويردد صالح بن عبد القدوس المعنى نفسه فيقول : (١٢١)

عَدُّوك ذو العَقلِ خَيرٌ لَك ... مِن الصديقِ الوامقِ الأحمقِ

فَمَا أَحكم الرأى مِثلِ امرئٍ ... يَقيسُ بِمَا قَدْ مَضَي مَا بَقي

وعلى هذا النحو عبَّر الشعراء عن أهمية الصداقة وحرصوا على تأكيد معاني التسامح والنبل والرفق فى معاملة الأصدقاء وحذروا من كل ما يشين الصداقة ويسئ إلى قيمها الفاضلة.

المبحث الثالث

جماليات الأداء

سنركز فى هذا المبحث على عنصرين من عناصر الأداء، أحدهما: الأداء اللغوى، والآخر: الأداء التصويرى .

الأداء اللغوى:

جنحت لغة الشعر – بصفة عامة – فى القرن الثانى الهجرى إلى السهولة وابتعدت عن التعقيد والجزالة بتأثير التطور الحضارى ووجود كثرة من الشعراءالمولدين الذين هجروا اللغة الشعرية القديمة وتبنوا ما سُمى بـ (الأسلوب المولد)، " ولعل أول خلاف يقع بين الأسلوب القديم والأسلوب المولد فى القرن الثانى هو الخلاف على مادة اللغة نفسها ، وفى الألفاظ، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ وحشية جزلة قوية الرنين تقتحم الأسماع، وتملأ فم منشدها، وآذان سامعيها، وكان الشعراء القدامى يصطنعون هذه اللغة ، لأنها بالفعل لغتهم ونتاج بيئتهم، وصدى مجتمعهم وحياتهم العقلية، ولكن حين تطورت الحياة الاجتماعية والعقلية للمجتمع الإسلامي، وشاعت مظاهر الترف والرقة فى أنحائه تغير إحساس الناس بالألفاظ ، فصاروا ينفرون من الوحشى الغليظ، ويميلون إلى الرقيق الموحى"[١٢٢]

ومن هنا نجد أن من سمات الأداء اللغوى لشعر الصداقة في ذلك العصر:

١ – سهولة اللغة

ويقصد بها هنا سهولة الألفاظ التي يستخدمها شعراء الصداقة، وقربها من المتلقي، فهي ألفاظ مأخوذة من السنة الناس حتى لنشعر أنها لغة الحياة اليومية، واعتمد الشعراء في تقريب لغتهم وسهولتها على:

أ. الألفاظ المباشرة

وإذا كانت السهولة قد صارت سمة عامة للشعر فى القرن الثانى الهجرى ، فإنها كانت مطلبًا ضرورياً فى شعر الصداقة بوصفها تعكس تجارب

الشعراء ورؤاهم وعواطفهم وتسعى إلى تحقيق التواصل ، فضلاً عن أن طبيعة موضوع الصداقة تتطلب لغة سهلة فى ألفاظها وتراكيبها وتخلو من التعقيد والجزالة والغموض وهو ما تحقق بالفعل فى شعر الصداقة وصار يمثلون سمة عامة وطابعًا مميزًا عند أغلب الشعراء، ومن ذلك قول صالح بن عبد القدوس:(١٢٣).

لا ترض للإخوان غير الذي ترضى به إن ناب أمرٌ جليلُ
لا أسمع الدهرَ جَليسِى الأذى إن لِسانِى عَن جَليسِي كَليلُ
إن خليلى واحدٌ وَجههُ وَلَيسَ ذو الوَجهَينِ لي خَلِيلْ

فاللغة هنا تتسم بالسهولة والبساطة سواء أكان ذلك فى الألفاظ أم التراكيب ، ولاتوجد لفظة واحدة غامضة ، ونحسُّ أن الشاعر يوجه خطابه بصورة مباشرة تقترب من لغة الكلام المتداولة على أفواه الناس .

ومما يمثل ذلك قول صالح بن عبد القدوس أيضًا : (١٢٤)

إنْ رَضيتَ الصِّديقَ فَاصْدُقْهُ فى الـ ـودِّ فَخَيْرُ الوِدَاد مَا صَدَقَا

فالخطاب – مباشر يتوزع على جملتين ، أحداهما شرطية والأخرى اسمية، ولا مجال فيها للغموض أو الجزالة، وتلك سمة عامة فى شعر صالح بن عبد القدوس لأن أكثره خطاب حكمى وعظى يتوخى السهولة والبساطة ليصل إلى المتلقى مباشرة .

ونجد هذه السمة فى شعر أبى العتاهية بصفة عامة وفى نماذج الصداقة بصفة خاصة ، ومن ذلك قوله : (١٢٥)

أحِبُّ مِنَ الإخوانِ كُلَّ مُؤاتِ الـ وفي بغضِ الطرفِ عَن عَثراتِي
يُرافِقنى فِى كُلِّ خيرٍ أُريدُهُ ويَحْفَظنِى حُبًا وَبعدَ مَمَاتِى
ومَن لِي بِهذا أي أَنى أُحبه فَقاسَمتُه مَا لِى مِن الحسناتِ
تَصَفَّحتُ إِخْوانِى فَكان أَقَلُّهم على كثرةِ الإخوانِ أَهلَ ثِقاتِ

فأبو العتاهية وهو يتحدث عن صفات الصديق المثالي الذى ينشده يستخدم لغة سهلة ، بسيطة التراكيب كالجملة مثل (تصفحت إخوانى – يحفظنى حَيّا – يرافقنى فى كل خير ...) .

ب. استخدام الجمل الشرطية

مال شعر الصداقة إلى استخدام الجمل الشرطية وهي سمة بارزة في الأداء اللغوي لشعر الصداقة خاصة في إطار الحكمة، كما أن الميل إلى استخدام أسلوب الشرط يضفي مزيدًا من السهولة على لغة الشعر، ونجد مثل هذه السمة فى شعر مطيع بن إياس ومن ذلك قوله : (١٢٦)

إنْ تَصلْنِي فَمِثْلُكَ اليوم يُرجَي عَفْوهُ الذنبَ عَن أَخِيهِ وَوَصْلُهْ

ولَئِن كُنتَ قَدْ هَمِمتَ بِهَجْرِى للذى قَدْ فَعَلتُ : إنّى لأهلُهْ

وأحقُّ الرجالِ أنْ يَغفرَ الذنـ ـبَ لإخوانِهِ المُوَفرُ عقلُهْ

الكريمُ الذِى لَه الحَسبُ الثَا قِبُ فِى قَومِهِ وَمَنْ طَابَ أَصْلُهْ

ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحباً لا تزل ما عاش نعلُهْ

لا تجدد وإن جهدت وأني بالذى لا يكاد يوجد مثلُهْ

فالخطاب – هنا مباشر يبدو أقرب إلى الخطاب النثرى أو لغة الكلام العادى ونلاحظ اعتماده على الجمل الشرطية التى تناسب مقام الاعتذار والحكمة ، فالبيتان الأول والثانى يرتكزان على الجملة الشرطية ، وجاء الشرط كذلك فى البيت قبل الأخير وامتدَّ ليأتى جواب الشرط فى البيت الأخير دلالة على تدفق المعنى واتصاله.

ت. استخدام أفعال الأمر

كذلك كان الإكثار من استخدام أفعال الأمر – باعتبار أن شعر الصداقة خطاب من الشاعر إلى صديقة أو خطاب حكمى وعظى فى سياق الصداقة – سمة أخرى من سمات الأداء اللغوي، ومن ذلك قول صالح بن عبد القدوس : (١٢٧)

تجنَّبْ صديقَ السوءِ واصرمْ حِبالَه وإنْ لم تجد عنه محيصًا فدارِهْ
وصادق – إذا صادقت – حُرّاً أو امرأً كريمًا من الفتيان يرعى لجارِهْ
وأَحْبِبْ حَبيبَ الصدقِ واحْذرْ مراءه تَنَلْ مِنْه صَفوَ الودِّ مَا لَمْ تَمارِهْ

فالأبيات الثلاثة تحشد بأفعال الأمر حتى لنجد ثلاثة منها فى البيت الأول (تجنب – اصرم – داره) ونجد فعلاً فى البيت الثانى (صادق) وفعلين فى البيت الثالث (أحبب – احذر) أى أن الشاعر استخدم ستة أفعال أمر فى الأبيات الثلاثة وهو ما يعكس الحاجة على النصح فى اختيار الصديق الصالح وتجنب صديق السوء ، وقد لاحظنا كذلك شيوع جمل الشرط فى الألفاظ والتراكيب .

ونجد هذه السهولة كذلك فى خطاب المأمون لعبد الله بن طاهر إذ يقول:(١٢٨)

أَخِي أَنتَ وَمَوْلايَ ومن أشكرُ نُعماهُ
فَمَا أحببتَ مِن أمرٍ فإنَّي الدَّهرَ أهواهُ
وماتكرهُ من شيءٍ فإني لستُ أرضاهُ
لَكَ اللهُ عَلى ذَاكَ لَكَ الله لَكَ الله

والقطعة نموذج دال على إيثار السهولة والجنوح إلى البساطة والاقتراب من لغة الكلام العادى .

٢ – توظيف الأحاديث النبوية

وقد مال بعض الشعراء إلى توظيف الأحاديث النبوية التى تندرج فى سياق الصداقة ، ومن ذلك قول أبى نواس : (١٢٩)

للهِ فِى الأرضِ أجنادٌ مجنّدة أرواحها بيننا بالصدق تعترفُ
فمَا تَعارضَ مِنها فهو مؤتلف ومَا تنَاكرْ مِنه فهو مُختلفُ

فأبو نواس يحيل هنا إلى حديث الرسول – ﷺ – : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " (١٣٠).

٣- البعد عن الصنعة اللفظية

وقد خلت لغة شعر الصداقة من الصنعة اللفظية وإن وجدنا كثرة فى استخدام (التضاد) فى سياق المقارنة بين الصداقة المثلى والصداقة المزيفة، فمن ذلك بين الفعل والاسم فى قول بشار : (١٣١)

أنتَ فى معشر إذا غبت عنهم بدَّلوا كل ما يَزِيُنك شَيْنا

فثمة تضاد بين الفعل (يزينك) والاسم (شينًا) .

ومن أمثلة التضاد قول العتبى : (١٣٢).

صاحب ليَ أَبنِيهِ وَيَهدمَنِي لا يَسْتَوِي هَادِمٌ يَوماً وَبَنَّاءُ

إذَا رَآنِي فَعَبْدٌ خَافَ مَعْتَبَةً وَإن نَأَيتُ فَثَمَّ الغَمْرُ وَالدَّاءُ

فهناك تضاد بين الفعلين (أبنيه – يهدمنى) وبين الاسمين (هادم – بناء).

ومن أمثلة التضاد بين الأفعال قول بشار : (١٣٣)

أُصْفِى الخَلْيلَ إذَا دَنَا وَإذَا نَأى عَنِّى رَأيْتُهْ

وَأَمِيلُ فِي أُنْسِ النَّدِيمِ مِنَ الْحَاءِ وَمَا أشْتَهَيَتُهْ

ففى سياق تقدير بشار للصداقة وتأكيد إخلاص ودّه للصديق فى حضوره وغيابه يتحقق التضاد بين الفعلين (دنا – نأى) .

ومما يمثل التضاد فى الأسماء قول صالح بن عبد القدوس : (١٣٤)

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ ، لَيْسَ النَّوْكُ عَنْكَ بِعَازِبِ

فالتضاد واضح هنا بين (عدوى – صديقك) ليعكس بذلك ثنائية من ثنائيات الصداقة.

الأداء التصويري:

التصوير عنصر جوهرى فى الشعر لأن الشاعر من خلاله " يرتفع عن الواقع المحسوس، ليرسم عالمًا جديدًا " (١٣٥) وقد أدرك الجاحظ قديمًا أهمية التصوير فى الشعر فقال "إنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من

التصوير[١٣٦] والصورة عابرة عن "طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة " [١٣٧].

ويختلف استخدام الصورة من شاعر إلى آخر بحسب ثقافته وحظه من الخيال "فكل شاعر يرتب صورة بعناصر جديدة ثم يكون التباين فى استخدامها، وعلى ذلك فهى تختلف من شاعر لآخر" [١٣٨].

ونجد اهتمامًا واضحًا بالتصوير فى شعر الصداقة بوصفه وليد تجربة وسعيًا إلى إحداث التأثير الجمالى والنفسي، وتكثر فيه الصور الجزئية والكلية كما يتضح فيما يلي:

أولاً: الصور الجزئية

وهي الأغلب في شعر الصداقة وأكثر ما ترتكز على (التشبيه والاستعارة).

١ – التشبيه

ويعد " التشبيه " أكثر وسائل تشكيل الصورة استخدامًا فى هذا النوع من الشعر لإيجاد علاقة تشابه وارتباط بين شيئين تجمعها علاقة متشابهة وسعيًا إلى " تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له " [١٣٩].

وتتردد تشبيهات معينة فى شعر الصداقة ، منها تشبيه الصديق المراوغ بروغان الثعلب ، فمن ذلك قول بشار [١٤٠].

فَما أَنْتَ إلا كَيْفَ أَنْتَ وَمَرْحَباً وبالبذل رَوَّاغٌ كَرَوْغِ الثَّعَالِبِ

وتتردد هذه الصورة عند صالح بن عبد القدوس بصورة ألطف إذ يقول[١٤١].

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللسانِ حَلاوةً وَيَروغُ مِنكَ كَمَا يَروغُ الثَّعلبُ

ونلاحظ كثرة الصور المستمدة من عالم الحيوان سعيًا إلى عقد مشابهة فى صفة مشتركة تجمع بين الصديق والحيوان ، فنجد صالح بن عبد القدوس يشبه الصاحب اللئيم بالحيوان المصاب بداء الجرب الذى يجب اجتنابه حتى لا يُصِب بالعدوى ، فيقول [١٤٢] .

واحـذَرْ مُصـاحَبَةَ اللَّئـيمِ فإنَّـهُ يُعدِي كما يُعْدِى الصَّحيحَ الأجرَبُ

ويستمد أبو الشيص الخزاعى صورة الصديق الذى يصفّ بالعطاء بصورة الأسد الذى لا يستطيع أحد أن يأخذ من يده شيئاً ، فيقول : (١٤٣).

وَصـاحبٌ كَـانَ لِـى وَكُنـتُ لَـه أَشـفقُ مِـنْ وَالـدِ عَلَـى وَلَـدِ
كنَّـا كَسـاقٍ تَسْـعَى بِهَـا قـدم أو كـذارع نِيطـت إِلَـى عَضـدِ
وَكَـانَ لِـى مُؤنسـا وَكنْـتُ لَـه لَيْسـتْ بِنَـا حَاجـة إِلـى أحـدِ
حَتَّـى إِذا اسـتَرفَدَتْ يَـدى يَـده كُنـتُ كَمسـترفِدِ يـدَ الأسـدِ

فالشاعر يرسم صورة لصديق انعقدت صداقته على المودة والعطف والأنس ولكنه اكتشف بخله بالعطاء وصعوبة ذلك كالأسد الذى يصعب أخذ شىء منه.

ويرسم الشاعر سالم بن وابصة (ت ١٢٥هـ) صورة لصديق السوء الذى طبعت نفسه على الحسد والحقد والغيبة والخداع ، وحتى يُقرّب صورته إلى الإفهام والأسماع يشبهه بقنفذ الرمل بما يحمله من صفات الخداع والتمويه والتخفى، يقول: (١٤٤).

ونيرب من مَوالى السوءِ ذى حسدٍ يقتاتُ لَحمى ولا يشفيهِ مِن قرمِ
داويتُ صدرًا طويلاً غمره حقدَا منـه وقلمـت أظفـارًا بـلا جلـمِ
كقنفذ الرمل ما تخفى مدارجه خب إذا نَام عنه البُوم لم ينمِ
مُـلازم لخـداعِ مَـا يُفارِقُـه يُبدِى لنَا الغِشَ والعوراء فِى الكلمِ

ويقارن مطيع بن إياس بين نموذجين للصداقة أحدهما ذو مروءة وشهامة ، والأخر على النقيض من ذلك ، ويرسم له صورة هزلية طريفة فيشبهه بالقرد الذى يتصف بالهزء ، فيقول : (١٤٥).

إنَّ المروءةَ لبسٌ لا يُشانُ بِه فِى غابرِ لابسِ أو سالفِ خالِ
وذو المروءة أبهى حين تلحظه وإن تعرى على عسر وإقلالِ
من تائه عطل منها وإن ملكت كفاه ملكا وإن أمسى أخا مالِ

كالقرد هان فأمسى وهو مهزأة يختال للمشي فى طَوْقٍ وَخلخَالِ

ويردد بشار صورة الحية فى سياق وصفه للصديق الذى يؤمن جانبه، فيقول: (١٤٦) .

أَخٌ أَو لامَنِـــي ثُـــمَّ نَرعَـــوِي إلى ثَائِبٍ مِنْ حِلمِنَا غَيرِ مخدَج

أَهـونُ إذَا عَـزَّ الجلِيـلُ وَرُبَّمـا أَزَمَّـتْ بِـرَأس الحيَّـةِ المـتَمَعِجِ

وتتردد صورة العقارب والأفاعى فى وصف الصديق الذى تنطوى نفسه على زيف وخداع فلا يؤمن جانبه من الإيذاء مثله فى ذلك مثل العقارب والأفاعى ، فيقول إبراهيم بن المهدى : (١٤٧)

مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤمَنْ عَقَارِبُهُ عَنِ الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤمِنْ أَفَاعِيهِ

كَالسيلِ تَجرِى ولايَدرى بِه أحدٌ مَن أين جَاء ولا مِن أيَن يأتيهِ

واستمد الشعراء بعض صور الصداقة من الإثمار والإنبات فيصف حماد عجرد الصديق المتقلب ، فيشبهه – حين تعرض له حاجة – بالتمر ، فإذا انقضت حاجته صار كالحنظل المرّ ، يقول : (١٤٨).

كالتمرِ أنت إذا ما حاجةٌ عرضت وحنظلٍ كلما استغنيتُ للجانبِ

تنْأى بِودِّك ما استغنيت عن أحد وما افتقرت فأنت الواصل الدانِى

ونقع على هذه الصورة لمطيع بن إياس فى تشبيه علاقته بصديقه يحى بن زياد باليد الواحدة دلالة على التوحد والامتزاج ، فيقول (١٤٩).

كنـــت ويحيـــى كَيَـــدَيَ واحـــدٍ نَرْمِـــي جميعًـــا وَنْرَامـــي معـــا

وفى سياق الإشادة بصفات الصديق المثالى نجد بعض الشعراء يستمدون صورهم من المعادن الثمينة لعقد المشابهة فى الصفات ، فتتردد عند بشار صورة سبيكة الذهب فى تشبيه الصديق المثالى ، فيقول (١٥٠).

وأخٍ ذى ثقـــــةٍ آخيتُـــــه ماجـدُ الأعـراقِ مـأمونُ الأدبِ

أمْحَـــضَ اللهَ لَـــه أَخْلاقَـــه فَهـى كـالإبريزِ مِـن سِـرِّ الـذهبِ

وتلفتنا شيوع هذه الصور فى تشبيهات بشار ، فنجده يشبه الصديق المثالى الذى يجدُّ فى طلبه بالياقوت النقى الخالص الذى تزيده النار حُسنًا وجمالاً ، فيقول (١٥١).

خيرُ إخوانك المشاركُ فى المُرّ وأين الشريكُ فى المُرّ أينا
الذى إنْ شَهدتَ سَرَّك فِى الحـ ـيّ وإنْ غِبتَ كَان عَينًا وأُذنا
مِثلُ حُرّ الياقوتِ إنْ مَسّه النا ر جَلاه البَلاء فازدادَ زَينَا

٢ – الاستعارة

واتكأ الشعراء أيضا على (الاستعارة) فى تشكيل صور الصداقة سعيًا إلى تجسيد المعنوى وتشخيص المجردات ، ولما تحققه الاستعارة من جمال فني ، فهى كما يقول عبد القاهر الجرجانى : " تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ ، فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقًا ، والأعجم فصيحًا ، والأجسام الخُرس مُبينة، والمعانى الخفيّة بادية جليّة " (١٥٢).

وقد شكل الشعراء استعاراتهم من البيئة المحيطة بهم ، فاستمدوا بعضها من مسألة (حَلْب الحيوان) فى سياق فى العطاء والمنع ، فقال أبو العتاهية : (١٥٣).

يعظمون أخا الدنيا وإن وثبت عليه يوما بما لا يشتهى وثبوا
يحلبون لحي در لقحته حتى يكون لهم صفو الذى حلبوا

ونجد بشاراً – وهو يشيد بأخلاقه فى معاملة الصديق يستدعى صورة (الحَلْبَ) فيستعيرها لأخلاقه دلالة على إدراء الخير ، يقول : (١٥٤) .

مَا كُلَّ زلة صاحب أغدو لها أتوثبُ
حِلمى أَصمُّ وراحتى لِلطالبين تحلبُ

ويستعير مطيع بن إياس فى وصف امتزاجه وتآلفه مع صديقه يحيى بن زياد الذى حرمه الموت من صداقته ، فيقول فى معرض التذكر : (١٥٥).

إنْ عَضَّنِى الدَّهر فَقَدْ عَضّه يُوجِعُنا مَا بَعضُنا أَوجَعَا

ففى قوله (عضنى الدهر فقد عضّه) استعارة حيث شبه الدهر بالحيوان المفترس .

وهو يوافق ما أورده بشار حين قال: (١٥٦).

لا تنهبن عرضى لتقسمةٍ ... ما كانَ عِرض أخيك منتهبَا

وانح الغداةَ على مقابلهم ... لخيلك المشغوف إن طلبَا

ويستعير صالح بن عبد القدوس الماء للوجه فيقول : (١٥٧).

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ... ولا خيرَ فى وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ

ويجسد بشار الأخلاق فيتخيلها تضيق ، فيحولها بذلك من معنوي إلى حسّى فيقول : (١٥٨) .

خليليّ إن المالَ ليس بنافعٍ ... إذا لم ينل منه أخ وصديقُ

وكنتُ إذا ضَاقتْ عَلى مَحلةٍ ... تيممت أخرى ما على تضيقُ

ومَا خَابَ بَين اللهِ والناسُ عاملٌ ... لَه فِى النقى أو فى المحامدِ سوقُ

ولا ضاقَ فضلُ الله عن مَتعففٍ ... ولَكن أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

وتتحول الأخلاق عند بشار مرة أخرى إلى صورة حسية فتتفاوت بين المرارة عند الصديق والحلاوة عند بشار ، فيقول : (١٥٩).

جَافَ عَنْ البِيضِ إذا مَا غَدا ... لم يبك فى دار ولم يطرب

صَاديته عَن مُرِّ أَخْلاقِهِ ... بِحلوِ أَخْلاقِى وَلَم أَشْغَبِ

والملاحظ بصفة عامة أن أغلب صور الصداقة جزئية تقف عند حدّ عقد مشابهة بين طرفين .

٣- الصور الكلية (الممتدة)

أما الصورة الكلية أو الممتدة فهى قليلة ، ومن أمثلتها قول بشار : (١٦٠).

وصاحبٍ ليس يصافى الندى ... يسوس ملكا وله حاجبُ

كالمأجن المستور إذ زرته ... فِى دارِ ملك لبطها راغبُ

ظل يناصى بخله جوده ... فِى حَاجتِى أيُّهما العالبُ

حتـــى إذا طـــال تناصـــيهما ... وانهـــزم الجـــود لـــه ثائـــبُ
أصـــبح عباســـا لـــزواره ... يبكـــى بوجـــه حزنـــه دائـــبُ
لمَّـــا رأيـــتُ البخـــلَ ريحانـــة ... والجـــود مـــن مجلســـة غائـــبُ
ودعتـــه إنـــى امـــرؤ حـــازم ... عنـــه وعـــن أمثالـــه ناكـــبُ
أصـــفى خليـــل مادجـــا ظلـــه ... ودام لـــى مـــن ودة جانـــبُ
لا أعبـــد المـــال إذا جـــاءنى ... حـــق أخ أو جـــاءنى راغـــبُ
ولسـت بالحاسـب بـذل النـدى ... إن البخيـــلَ الكاتـــب الحاســـبُ

فبشار يرسم صور كلية ممتدة لصديق بخيل برغم مكانته السياسية والاجتماعية كما دلّ على ذلك قوله (يسوس ملكًا وله حاجب) ، ويشير فى البيت الثانى إلى أن هذا الصديق خيره لايصل إليه أحد ويحتفى بذكر تفاصيل الصورة ، فيصف هذا الصديق بأنه شديد العبوس والتقطيب وقد غاب الكرم والبهجة عن مجلسه وجعل البخل ريحانه كناية عن ملازمته لمجلسه ، لأن مجالس الكرماء توضع فيها الرياحين مبالغة فى إكرام الوافدين ، فجعل ريحان هذا الصديق هو البخل ، وتنتهى الصورة بعزم لايحسب بشار على هجر هذا الصديق البخيل وتأكيد أنه يخلص الود لمن يستحقه وأنه كريم ما يجود به إذ جعل الحساب علامة البخل .

وفـى مقابـل هـذه الصـورة يقـدم بشـار نموذجًـا مناقضًـا أو مخالفـاً، فيقول:(١٦١).

وصـــاحبٍ كالســـيفِ جرَّدتُّـــهُ ... (لا مـــــاذق ودّا ولا ناكـــــثُ)
مـــن المميتـــين همـــوم الفتـــى ... يعبـــث فـــى معروفـــه عابـــثُ
لا يعبـد المـال ويُبقـى العِـدى ... بالخيـــــل لا وانٍ ولا لائـــــثُ
لمَّـــا رَأنِـــى جِئتـــه زائـــرًا ... بِـــالمَحضِ لايغلثـــه غالـــثُ
كَـــاد أعطـــى مِـــن ذُرى مالـــه ... بعثـــا ولا تبقـــى لـــك الباعـــثُ

فبشار فى هذا النموذج يرسم صورة لصديق مثالي يشبهه بالسيف الملازم له ، ويشيد بكرمه ، فيصفه بأنه يُفنى – بحسن صحبته وكرم أخلاقه – هموم صديقه حتى يحس أنها كالميتة (المعدومة) ، ويمتد بشار بالصورة ، فيصف صديقه بأنه يبسط إحسانه ويغدق معروفه على صديقه حتى يصير المعروف – من فرط التمتع به – لعبًا ولهوًا ، ويمضى فى وصف كرم هذا الصديق ، فيقول : إنه لايبقى شيئًا لأجل صديقه لم يبعثه ، أى أنه يعطى بسخاء حتى يحس صديقه أنه لم يبق لديه حاجة أو أمنية لم يحققها له .

ومن الصور الكلية الممتدة التر يرسمها بشار لأصدقائه نقع على هذه الصورة الغريبة ، التى يقول فيها : (١٦٢).

وَصَـــاحِبٍ كَالـــدُّمَّل الممـــدِ أرقــب منــه مثــل يــوم الــوردِ

حملتــه فــى رقعــة مــن جلــدى صـــبرا وتنزيهـــا لمَّـــا يـــؤدِى

حتــى انطوى غيـر فقيـد (الغـد) ومـا درى مـا رغبتـى مِـن زهـدِى

إن بشارًا يرسم صورة غريبة لصديق سىء العشرة يلازمه ولا يستطيع أن يتخلص منه ، فيشبهه بالدُّمّل الذى يحمله فى جلده وهو تشبيه غريب يشبه به حال الصديق السىء المعاشرة فى تحمل أذاه ولزوم مخالطته بحال الدّمّل فى جسده فلا يجد بدًّا من تحمُّل أذاه لأنه ملتصق به ، وقد التفت عبد الظاهر الجرجانى إلى هذه الصورة الغريبة فجعلها من الاستعارة الخاصية – نسبة إلى الخاصة – النادرة ، وجعلها من الفن الأول من الإبداع الذى يرجع إلى حسن اختيار المعنى المستعار للمعنى المستعار منه ، لا الإبداع فى وجه الشبه ، وناظره بقول (كُثيّر) : " وسالت بأعناق المطىّ الأباطحُ " وجعل الإبداع الراجع إلى التصرف فى وجه الشبه فناً ثانيًا دون الأول : (١٦٣)

ومن الصور الممتدة هذه الصورة لأبى العتاهية : (١٦٤).

احـــذر الأحمـــق أن تصـــحبه إنمـا الأحمـق كـالثوب الخلـقْ

كلمـــا رقعتـــه مـــن جانـــب زعزعتــه الــريح يومًــا فــانخرقْ

أو كصدع – فى زجاج – فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصقْ؟

فإذا عاتبته كى يرعوى زاد شرًا وتمادى فى الحمقْ

فأبو العتاهية يرسم صورة دقيقة للصاحب الأحمق ، فيشبهه بالثوب البالى الممزق ، ثم يمتد بالصورة ، فيقول إن هذا الثوب لايصلح مرة أخرى ، فإذا رقعته فإنه لا يلبث بفعل الريح أن يتمزق ، ثم يضيف إلى ذلك صورة أخرى ، فيشبه هذا الصاحب بكسر كبير فى زجاج لايمكن جبره أو إصلاحه .

ونقع فى شعر الصداقة على بعض الصور الطريفة ، وإن كانت نادرة ، ومنها هذه الصورة لأبى العتاهية : (١٦٥).

رَأَيْتُ الفَضْلَ مُتكِئاً يُنَاجِي الْبَحْرَ وَالسَّمَكا

فَأَرْسَلَ عَيْنَهُ لَمَّا رَأَنِي مُقْبِلاً وَبَكَى

فَلَمَّا أَنْ حَلَفْتُ لَهُ بِأَنِّي صَائِمٌ ضَحِكَا

فأبو العتاهية فى سياق وصفه فله الفضل في أهل زمانه يرسم هذه الصورة الطريفة لصديق له يسمى (الفضل) اشتهر بالبخل ، فيصوره تصويرًا فكها إذ رأه يغازل السمك فى البحر ، فلما رأى أبا العتاهية مقبلاً عليه بكى ظنًا منه أنه سيشاركه الطعام فلمّا أخبرة بأنه صائم انفرجت أساريره وضحك بعد ما تيقن أن صديقة لن يشاركه الطعام .

نتائج البحث

نستطيع من خلال البحث فى شعر الصداقة أن نضع أيدينا على النتائج الآتية:

١- ازدهر شعر الصداقة فى القرن الثاني الهجرى ازدهارًا كبيرًا نتيجة لعدة عوامل ، منها المؤثرات الاجتماعية حيث تعرض المجتمع العربي آنذاك لتغيرات اجتماعية كبري شهدت ظهور طبقات اجتماعية جديدة أبرزها طبقة (الموالى أو المولدين) التى لعبت دورًا اجتماعيًا مهمًا ، كما ازداد اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى مما أدى إلى اتساع العلاقات الاجتماعية وتفتت العصبيات القبلية .

كما أسهمت المؤثرات الثقافية فى ازدهار شعر الصداقة حيث اتسعت حركة الترجمة وانتقلت مفاهيم الصداقة عن طريق الأدب الفارسى والفكر اليوناني إلى الأدب العربى .

٢- تباينت مواقف الشعراء من الصداقة، فنظر إليها بعضهم من خلال رؤية مثالية تُعلى من قيمة الصداقة والصديق، ورآها بعضهم من خلال رؤية واقعية تنظر إلى الصديق بوصفه إنسانا يُصيب ويُخطئ ، بينما نظر آخرون إلى الصداقة من خلال رؤية سلبية فشكك فى الصداقة وتربطها بالمصالح والمنافع المادية، وتركز على الصفات السلبية فى الصديق.

٣- ارتبطت الصداقة بمضامين شعرية محددة مثل العتاب والاعتذار والشكوى والرثاء والهجاء والنصائح، وغير ذلك مما يصور العلاقات المتبادلة بين الأصدقاء فى جانبيها الإيجابى والسلبى .

٤- احتلَّ العتاب المرتبة الأولى فى مضامين شعر الصداقة مما يعكس ما كان يشوب العلاقات بين الأصدقاء من توتر وجفوة .

٥- عكس غرض الاعتذار حسّاً حضاريًا وروحًا طيبة سادت بين الأصدقاء، وحرصا على دوام الصداقة.

٦- عكس شعر الهجاء الجانب السلبى فى الصداقة وما طرأ عليها من تحول من مقام الصفاء إلى مقام الخصام والقطيعة .

٧- عكس الشعر الذى قيل فى رثاء الأصدقاء فضيلة الوفاء وصوّر إحساس الشعراء بالفجيعة لفقد أصدقائهم .

٨- صوّر شعر الصداقة بعض جوانب اللهو والأنس والاستظراف فى حياة الأصدقاء وميل بعضهم إلى حياة المجون واللهو .

٩- برز فى شعر الصداقة جانب تهذيب أخلاقى يرتفع بقيمة الصداقة ويحضُّ عليها ويبين ما فيها من قيم فاضلة ، ويحذر فى الوقت ذاته من الصداقة الزائفة .

١٠- اتسمت لغة شعر الصداقة بالسهولة والبساطة فى الألفاظ والتراكيب تحقيقًا لغاية التواصل ، وعكست سمات الأسلوب المولّد الذى شاع فى لغة الشعر فى القرن الثانى الهجرى .

١١- احتفى شعر الصداقة بعنصر التصوير واحتلَّ (التشبيه) الصدارة فى وسائل تشكيل الصورة ، وترددت تشبيهات معينة مستمدة من عالم الحيوان والبيئة والمعادن الثمينة .

١٢- اتكأ الشعراء على الاستعارة ، فى تشكيل صور الصداقة سعيًا إلى تجسيد المعنوى وتشخيص المجردات وقد تشكلت (الاستعارة) من البيئة المحيطة بالشعراء .

١٣- اتسمت أغلب صور شعر الصداقة بأنها صور جزئية تقف عند مجرد المشاكلة بين طرفى الصورة .

١٤- على الرغم من شيوع الصور الجزئية وضع البحث يده على بعض الصور الكلية والممتدة التى ترسم نماذج مختلفة للصداقة ، كما التفت البحث إلى بعض الصور الطريفة.

هوامش البحث

١- لسان العرب ، ابن منظور ، ط ، دار المعارف بمصر ، مادة (صدق) ج٣ ، ص ٢٤١٧.

٢- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ ج٣ ، ص ٣٣٩.

٣- تهذيب اللغة ، الأزهرى ، تحقيق عبد العظيم محمود ، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة ج٨ ، ص ٣٥٦.

٤- جمهرة اللغة ، ابن دريد الأزدى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ ج٢ ، ص ٢٧٣.

٥- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، تحقيق حسام الدين القدرسى ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٥.

٦- سورة النور ، آية ٦١.

٧- سورة الشعراء ، آية ١٠٠-١٠١.

٨- الكشاف عن حقائق التأويل ، الزمخشرى ، ط. دار الكتاب العربى ، بيروت ٣ : ٢٥٧.

٩- علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، أرسطو ، ترجمة أحمد لطفى السيد ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ ج١ ، ص ٢٢٥.

١٠- المصدر السابق : ١ : ٢٥٥.

١١- المعجم الفلسفى ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ١٠٥.

١٢- الصداقة من منظور علم النفس ، د. أسامة سعد أبو سريع ، ط. عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢٧.

١٣- سورة الحجرات ، آية ١٠.

١٤- جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة (العصر الأموى) ، أحمد زكى صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت ٢ : ٣٧٢.

١٥- عناصر الشعر فى نثر عبد الحميد ، د. سعيد حسين منصور ، ط. منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٣٩٩- ١٩٧٩م، ص ٢٥٣.

١٦- جمهرة رسائل العرب ، أحمد زكى صفوت (مصدر سابق) ٢ : ٣٧٢.

١٧- الأدب فى العصر العباسى ، د. فوزى عيسى ، د. فوزى محمد أمين ، ط. دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ٢١٩.

١٨- حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، د. شكرى الفيصل ، ط. الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٢م، ص ٤٧.

١٩- اتجاهات الشعر العربي فى القرن الثاني الهجرى ، د. محمد مصطفى هدارة ، ط. دار العلوم العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٥٦.

٢٠- الأدب فى العصر العباسى ، د. فوزى عيسى ، د. فوزى محمد أمين ، (مرجع سابق) ص ٢٦٠.

٢١- الأدب الكبير ، ابن المقفع ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٠٨.

٢٢- المصدر السابق : ١٠٨.

٢٣- المصدر السابق : ١٠٤.

٢٤- الأدب الصغير : ٧٠.

٢٥- المصدر السابق : ٧٧.

٢٦- فى الشعر العباسى ، د. فوزى عيسى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠١٠، ص .

٢٧- ديوان محمود الوراق ، جمع ودراسة وتحقيق د. وليد قصاب ، ط. دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١، ص ١٥١.

٢٨- الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدى ، دراسة وتحقيق الشربينى شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص ٨٩.

٢٩- المصدر السابق : ١٣٥.

٣٠- المصدر نفسه : ١٥٦

٣١- ديوان بشار بن برد ، شرح وتكميل محمد الطاهر ابن عاشور ، تعليق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقى امين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ج١ ، ص ٣٠٣-٣٠٤.

٣٢- المصدر السابق ٤ : ٢٢١ -٢٢٢.

٣٣- الصداقة والصديق (م.س) ، ص ٨٤.

٣٤- ديوان صالح بن عبد القدوس ، جمع وترتيب دراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب ، دار البدر للتوزيع والنشر ، الطبعة الأولى ٢٠١٢ ، ص ٣٩.

٣٥- شعراء عباسيون ، غوستاف فون جرونياوم ، ترجمة وأعاد تحقيقه د. محمد يوسف نجم ، راجعه د. إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م،ص ٦٥.

٣٦- الصداقة والصديق : ٣٤٦.

٣٧- ديوان أبى العتاهية ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ، ص ١٤٩.

٣٨- المصدر السابق : ١٦٢.

٣٩- الصداقة والصديق : ٢٣٧.

٤٠- المصدر السابق : ١٢٥.

٤١- ديوان بشار ١ : ٣٠٩.

٤٢- ديوان أبى العتاهية : ٩٥.

٤٣- الصداقة والصديق : ٢٠٣.

٤٤- شعراء عباسيون (م.س) ص ٦٥.

٤٥- ديوان محمود الوراق : ٧٧.

٤٦- المصدر السابق : ٧١.

٤٧- المصدر نفسه : ٧٧.

٤٨- الصداقة والصديق : ٣٥.

٤٩- المصدر السابق : ١٢٢.

٥٠- المصدر نفسه : ٩٢.

٥١- نفسه : ٨٩ -٩٠.

٥٢- نفسه : ٨٩.

٥٣- ديوان أبى العتاهية : ٧١.

٥٤- المصدر نفسه : ٧١.

٥٥- نفسه : ١٤٦.

٥٦- نفسه : ٤٩.

٥٧- نفسه : ١٥٢.

٥٨- ديوان أبى نواس : ٥١٥.

٥٩- المصدر نفسه : ٤١٥.

٦٠- ديوان صالح بن عبد القدوس : ص٢٣

٦١- المصدر السابق : ٥٧.

٦٢- المصدر نفسه : ٤٤.
٦٣- الصداقة والصديق :٣٧٠.
٦٤- ديوان صالح بن عبد القدوس : ٤٥.
٦٥- الصداقة والصديق : ١٣٤.
٦٦- ديوان بشار ٤ : ٢١.
٦٧- شعراء عباسيون : ٦٦.
٦٨- المصدر السابق : ٦١.
٦٩- طبقات الشعراء ، ابن المعتز : ٦٨ ، الصداقة والصديق : ١٠٣.
٧٠- الصداقة والصديق : ٩١.
٧١- ديوان محمود الوراق : ٨٧.
٧٢- الصداقة والصديق : ٣١٤.
٧٣- ديوان بشار ١ : ١٣٩.
٧٤- ديوان محمود الوراق : ١٣٤ -١٣٥.
٧٥- ديوان أبى نواس : ٧٠٠.
٧٦- أورد ابن منظور فى لسان العرب أنَّ ابن برّى أنشد الأبيات الثلاثة الأولى شاهدة على معنى (القرلى) ، وجاء فى المثل (أحزم من قرلّى ، وأخطف ، وأحذر ، حتى قيل لطير من طيور الماء : القرلّى .
٧٧- ديوان أبى نواس : ١١٠-١١١.
٧٨- ديوان أبى العتاهية ، الصداقة والصديق : ٢٣١.الصداقة والصديق : ٢٣١.
٧٩- ديوان العباس بن الأحنف ٥٦.
٨٠- الصداقة والصديق : ٢٨٨.
٨١- الصداقة والصديق : ٢٨٨.
٨٢- شعراء عباسيون : ٤٠.
٨٣- ديوان بشار ١ : ٢٧٦.
٨٤- ديوان أبى العتاهية : ١٥.
٨٥- شعراء عباسيون : ٦٥.
٨٦- الأغاني ١٣ : ٩٠ ، شعراء عباسيون : ٦٧.
٨٧- شعراء عباسيون : ٤٧ -٤٨.
٨٨- المصدر السابق : ٦٤.

٨٩- المصدر نفسه : ٣٠.
٩٠- ديوان بشار ٣ : ٩٥.
٩١- المصدر السابق ١ : ٢٤٦ -٢٤٧.
٩٢- ديوان أبى نواس : ١٥٧.
٩٣- المصدر السابق : ٨٦٤ -٨٦٦.
٩٤- المصدر نفسه : ١٥٣ -١٥٤.
٩٥- ديوان أبى العتاهية : ١٠٧.
٩٦- الأغانى ١٢ : ٨٦ ، شعراء عباسيون : ٤٠-٤١.
٩٧- شعراء عباسيون : ٣٧.
٩٨- المصدر السابق : ٦٦.
٩٩- المصدر نفسه : ٤٤ -٤٥.
١٠٠-نفسه : ٤٤.
١٠١-نفسه : ٥٨.
١٠٢-نفسه : ٧٣.
١٠٣-نفسه : ٤٦ – ٤٧.
١٠٤-نفسه : ٣٨.
١٠٥-ديوان أبى العتاهية : ١٤٧.
١٠٦-المصدر السابق : ٦٩.
١٠٧-ديوان بشار ١ : ٢٨١.
١٠٨-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٥٤.
١٠٩-المصدر السابق : ٥٠.
١١٠-ديوان محمود الوراق : ١٢٧.
١١١-المصدر السابق : ٧٩.
١١٢-ديوان بشار ٤ : ٢٦.
١١٣- هاه : كلمة وعيد وكلمة جواب الداعى .
١١٤-ديوان بشار ١ : ٢٥٢.
١١٥-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٤٨.
١١٦-الصداقة والصديق : ٣٣٢.
١١٧-ديوان محمود الوراق : ٨١.

١١٨-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٥٤.

١١٩-ديوان أبى العتاهية : ١٥٠.

١٢٠-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٥٧.

١٢١-الصداقة والصديق : ٣٣٢.

١٢٢-اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ، د. محمد مصطفى هدارة (مرجع سابق) ، ص ٥٨٥.

١٢٣-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٦٧.

١٢٤-المصدر السابق : ٥٧.

١٢٥-ديوان أبى العتاهية : ٣٩.

١٢٦-شعراء عباسيون : ٦٥.

١٢٧-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٥٤.

١٢٨-الصداقة والصديق : ١٦٨.

١٢٩-المصدر السابق : ١٥٦.

١٣٠-رواه مسلم فى صحيحة رقم (٢٦٣٨).

١٣١-ديوان بشار ٤: ٢٢٢.

١٣٢-الصداقة والصديق : ٧٧.

١٣٣-ديوان بشار ٢ : ٢٦.

١٣٤-الصداقة والصديق : ٨٤.

١٣٥-فن الشعر ، د. إحسان عباس ، ط. دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٣٠.

١٣٦-الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط. دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٦٩م، ج٣ ، ص ١٣٢.

١٣٧-الصورة الفنية فى التراث النقدي والبلاغى عند العرب ، د. جابر عصفور ، المركز الثقافى العربى ، ١٩٩٢ ، ص ٧.

١٣٨-تطور الصورة فى الشعر الجاهلى ، د. خالد الزواوى ، ط. مؤسسة حورس الدولية للنشر ، ص ٢٩.

١٣٩-العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، ابن رشيق ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط. دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١ ، ج١ ، ص ٢٩٠.

١٤٠-ديوان بشار ٤ : ٢١.

١٤١-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٤٤.

١٤٢-المصدر السابق : ٤٥.

١٤٣-الصداقة والصديق : ١٧٩.

١٤٤-المصدر السابق : ٣٢٥.

١٤٥-شعراء عباسيون : ٦٣.

١٤٦-الصداقة والصديق : ٣٩.

١٤٧-المصدر السابق : ٤٨٤.

١٤٨-المصدر نفسه : ٣٠٠.

١٤٩-شعراء عباسيون : ٥٨.

١٥٠-الصداقة والصديق : ٤١.

١٥١-ديوان بشار ١ : ٣٠٣.

١٥٢-أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، ١٩٩١ م ، ص ٤٣.

١٥٣-ديوان أبى العتاهية : ١٨.

١٥٤-ديوان بشار ١ : ٣٥٨.

١٥٥-شعراء عباسيون :٥٩.

١٥٦-ديوان بشار ١ : ١٧٥.

١٥٧-ديوان صالح بن عبد القدوس : ٣٩.

١٥٨-ديوان بشار ٤ : ١١٤.

١٥٩-المصدر السابق ١ : ١٤٦.

١٦٠-المصدر نفسه ١ : ٢٢٧ – ٢٢٨.

١٦١-نفسه ٢ : ٦٣.

١٦٢-نفسه ٢ : ٢٢٤- ٢٢٥.

١٦٣-دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجانى ،

١٦٤-ديوان أبى العتاهية : ١٥٠.

١٦٥-المصدر السابق : ١٥٥.

المصادر والمراجع

المصادر :

١- الأدب الكبير والأدب الصغير ، ابن المقفع ، ط. دار الجيل ، بيروت ، (د.ت).

٢- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩١م.

٣- الأغانى ، أبو الفرج الاصفهانى ، ط. دار الكتب المصرية .

٤- تهذيب اللغة ، الأزهرى ، تحقيق عبد العظيم محمود ، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).

٥- جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة (العصر الأموى)، أحمد زكى صفوت، المكتبة العلمية، بيروت .

٦- جمهرة اللغة ، ابن دريد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .

٧- الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط. دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٩٦٩م.

٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى، تحقيق محمد رشيد رضا، ط، بيروت ، ١٩٨٢م.

٩- ديوان بشار بن برد ، شرح وتكميل محمد الطاهر ابن عاشور ج١ ، تعليق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقى أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ج٢ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ ، ج٣ ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، ج٤ ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م.

١٠- ديوان حكيم الشعر صالح بن عبد القدوس ، جمع وترتيب ودراسة عبد الفتاح إسماعيل غراب ، ط. دار البدر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

١١- ديوان العباس بن الأحنف ، ط. دار صادر بيروت ، ١٣٩٨-١٩٧٨م.
١٢- ديوان أبى العتاهية ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٣- ديوان محمود الوراق ، جمع ودراسة وتحقيق د. وليد قصاب ، ط. دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ – ١٤٢٢هـ .
١٤- ديوان أبى نواس (الحسن بن هانىء الحكمى) ، حققه وشرحه سليم خليل قهوجى ، ط. دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٣م.
١٥- شعراء عباسيون ، غو ستاف فون جرونياوم ، ترجمة وأعاد تحقيقة د. محمد يوسف نجم ، راجعه د. إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩م.
١٦- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط. دار إحياء التراث العربى ، مصر .
١٧- الصداقة والصديق ، أبو حيان التوحيدى ، دراسة وتحقيق الشربينى شريدة ، ط. دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
١٨- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط. دار المعارف بمصر .
١٩- علم الأخلاق إلى نيقوماخوسى ، أرسطو ، ترجمة أحمد لطفى السيد ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤م.
٢٠- العمدة فى صناعة الشعر ونقدة ، ابن رشيق القيروانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط. دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م.
٢١- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، تحقيق حسام الدين القدسى ، ط. دار الكتاب العلمية ، بيروت .
٢٢- الكشاف عن حقائق التأويل ، الزمخشرى ، ط. دار الكتاب العربى ، بيروت .
٢٣- لسان العرب ، ابن منظور ، ط. دار المعارف ، مصر .

٢٤- المعجم الفلسفى ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٥- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط. دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م.

المراجع :

٢٦- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثاني الهجرى ، د. محمد مصطفى هدارة، ط. دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٧- الأدب فى العصر العباسى ، د. فوزى عيسى ، د. فوزى محمد أمين ، ط. دار المعرفة الجامعية ، افسكندرية .
٢٨- تطور الصورة فى الشعر الجاهلى ، د. خالد الزواوى ، ط. مؤسسة حورس الدولية للنشر .
٢٩- حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، د. شكرى الفيصل ، ط. الخانجى ، القاهرة ، ١٩٥٢م.
٣٠- الصداقة من منظور علم النفس ، د. اسامة سعد أبو سريع ، ط. المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب (عالم المعرفة) ، الكويت .
٣١- الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور، ط. المركز الثقافى العربى، ١٩٩٢م.
٣٢- عناصر الشعر فى نثر عبد الحميد، د. سعيد حسين منصور ، ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٣- فن الشعر، د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة، بيروت .
٣٤- فى الشعر العباسى، د. فوزى عيسى، ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

د. عصام لطفي وهبان
مدرس الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة دمنهور